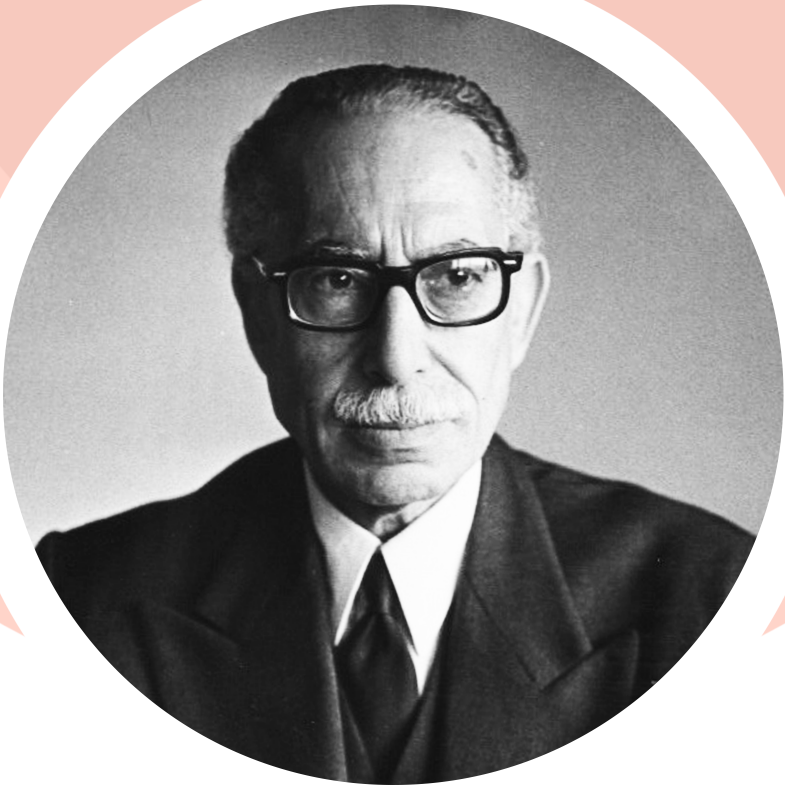

العش الهادئ

توفيق الحكيم

العش الهادئ

من وحي الحياة الفنية

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

العش الهادئ

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٨٦١ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٥.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

المحتويات

الفصل الأول	٧
الفصل الثاني	٣٣
الفصل الثالث	٥٥
الفصل الرابع	٧٥

الفصل الأول

(«كابين» في بلاج سيدي بشر، شرفة الكابين وهي مؤثثة بالمقاعد المريحة والوسائد الملونة، وفي أحد أركانها جهاز راديو صغير، وفي صدرها منضدة عليها أوراق، يجلس إليها رجل يلبس «البنطلون» العادي مع قميص أبيض. حُلَّت منه «الكرافتة» وتدلَّت، هو الأستاذ «فكري»، وهو يهرش شعره المنفوش بقلمه، وتحت قدميه كوم من الأوراق الممزقة والمطبقة، يُلقي عليها أيضًا بورقة أمامه كتبها ثم مزقها، عندئذٍ يمر به رجل بدين، مفتول الشوارب، ملتف في «برنس» حمام زاهي اللون، هو «بيومي أبو النجف»، يقف مسندًا ذراعيه إلى حاجز الكابين الخشبي، ملقيًا على الأستاذ «فكري» نظرة إعجاب.)

أبو النجف: بسم الله ما شاء الله! اللهم صل على النبي! اللهم زد وبارك! ربنا يقويك يا أستاذ! هكذا التأليف وإلا فلا!

(فكري مشغول عنه بالنظر في الورق الذي أمامه.)

أبو النجف: صباح الخير يا أستاذ فكري!

فكري (يرفع رأسه ويراه)**:** صباح النور يا «أبو النجف» بك!

أبو النجف: اكتب يا أستاذ، اكتب، انسجم في الرواية، أنا كل غرضي، أطمئن عليك، وعلى راحتك، الكابينة تحت أمرك فيها كل الاستعدادات، عندك الراديو، وعندك في الداخل الثلاجة، وأدوات القهوة والشاي، والهواء الطلق حواليك، والبحر اللطيف أمامك، أما الهدوء والسكينة، فحدِّث ولا حرج، من جهتي أنا قد نبهت على كل إنسان أن يتركك وحدك تعيش مع الخيال الجميل الذي سيضع لنا «الفيلم» المدهش، وقد نفذت تعليمات المخرج بالحرف

الواحد، قال لي الأستاذ المؤلف يريد الهدوء التام، لأن وحيه من غير مؤاخذة لا يهبط ولا يعشش ولا يبيض ولا يفقس إلا في جو الهدوء، فرأيت أنسب مكان لنزول الوحي هو هذه الكابينة، أليس رأيي في محله؟

فكري: في محله، وأين المُخرج؟

أبو النجف: لا أعلم، ألم تره أنت؟ إنه نازل معك في فندق واحد.

فكري: لم أره منذ الصباح الباكر، سألت عنه، قالوا خرج يتمشى على الكورنيش!

أبو النجف: رجل رياضي، هل تريد منه شيئًا يا أستاذ؟ أنا أسد مسده! قل لي كل طلباتك، لا تظن أني رجل مالي فقط، اختصاصي تمويل الفيلم، لا، أنا لي ذوق يعجبك، لا يغرك أني تاجر خيش، أنا أفهم في الفن، وأعرف بالفراسة الممثلة التي سيكون لها مستقبل في السينما، ما قولك في بطلتنا «ميمي كمال»؟! ألا تستحق أن أصنع لها «فيلمًا» بعشرين ألف جنيه؟!

فكري (بدون التفات): تستحق!

أبو النجف: أنا الذي اكتشفتها، أتدري أين يا أستاذ؟ في صالةٍ بسيطة، ترقص رقصةً عادية، ولكن القوام والنظرات والابتسامات وخفة الدم «الشربات» والعيون والحواجب والشفتين والخدين والذراعين، والوقفة والغمزة والضحكة، والرمش والخال والتيه والدلال ...

فكري (بضيقٍ خفي): إلى آخره ... إلى آخره ...

أبو النجف: بذمتك، أنا أرضى بذمتك، مَن الألطف والأخف: «ميمي كمال»؟ أو «ريتا» هباب؟!

فكري: «ريتا» هباب؟ من تكون؟ تقصد «ريتا هيوارت»؟

أبو النجف: كل الفرق بينهما في شيء واحد؛ الدور، ألبس «ميمي كمال» دورًا فيه لطافة وأناقة ورشاقة، ألبسها دورًا من هذه الأدوار التي تظهر مواهبها، وهي تضرب «ريتا هباب» على عينها، وعين مخرجها الذي في «هوليود»، وهذا الدور من يؤلفه غير أستاذنا العظيم؟ هكذا قالوا لنا، وهكذا نحن رهن إشارتك، اعتمادنا على الله وعلى خيالك ووحيك ومزاجك. أمس قال لي المخرج إن مزاجك لا يروق إلا بقليل من المانجو الفاخرة، فأرسلت إليك البارحة عشرين «منجاية» من هندي وألفونس وبيض عجل وزبدية، لتأكلها على الريق.

فكري: آكلها على الريق؟

أبو النجف: نعم، هكذا أوصاني المخرج، وأعطاني رقم حجرتك بالفندق رقم «١٥» وقد أرسلت إلى حجرتك هذه أيضًا قبل يومين أقة بطارخ مفتخر، حسب تعليمات المخرج أيضًا، لتأكلها قبل النوم حتى يصفو ذهنك!

فكري: بطارخ! قبل النوم؟

أبو النجف: قبل النوم، بعد النوم، أنت حر، المهم أن كل طلباتك منفذة، وكل تعليمات المخرج متَّبعة.

فكري: بماذا أوصاك المخرج أن ترسل أيضًا، إلى الحجرة رقم «١٥»؟!

أبو النجف: السيجار الفخم العجيب، الذي تسبح في دخانه المعطر أحلامك الرايقة!

فكري (من بين أسنانه)**:** شيء جميل جدًّا.

أبو النجف: طبعًا وصلتك هذه الأشياء البسيطة.

فكري: أشكرك يا «أبو النجف بك»، شكرًا جزيلًا.

أبو النجف: لا شكر على واجب، أهذه أشياء لها قيمة؟ نحن خدام وحيك، الوحي الذي سيطرز لنا الدور الرائع اللائق بـ «ميمي كمال»، لكن، «على فكرة» يا أستاذ، لي عندك رجاء، رجاء واحد، تسمح؟

فكري: تفضل!

أبو النجف: تذكر أني قلت لك: القبلات ممنوعة، أعني أن دورها يجب أن يكون بعيدًا عن كل ما ... أنت فاهم غرضي! لا تقبِّل أحدًا، ولا أحد يقبلها!

فكري: اطمئن، دورها في غاية الجد والاحتشام، لن تغازل ولن تحب، ستحتفظ بقلبها لشخص واحد فقط!

أبو النجف: من هو؟

فكري: شخص غير موجود في الرواية!

أبو النجف (يبرم شواربه باسمًا)**:** تعجبني فيك الفطنة، تفهمها وهي طايرة! (يتنهد) لكن، يا خسارة! على كل حال، ربنا يعدل الأحوال، قل لي يا أستاذ! أنت هنا من الصبح؟!

فكري: من نحو ساعة.

أبو النجف: ألم يأت أحد هنا، يسأل عني؟

فكري: تقصد الآنسة «ميمي كمال»؟!

أبو النجف: لا، لا، «ميمي» لا تزال في فندقها، أعرف ذلك، ربنا يحرسها، أبلغتني الآن بالتليفون أنها لن تغادر حجرتها قبل الظهر، أقصد رجلًا يرتدي طربوشًا ومعطفًا من الجوخ فوق جلباب من السكروتة.

فكري: لم يأت أحد وأنا هنا.

أبو النجف: خشيت أن يكون قد سأل عني في الفندق، فدلوه على الكابينة، نسيت أن أترك له خبرًا قبل مجيئي، أرجوك، إذا جاء الآن فلينتظرني، سأغطس في البحر غطستين وأعود.

فكري (وهو ينظر في أوراقه)**:** اغطس في البحر، وأنا أغرق في الورق!

أبو النجف (وهو منصرف)**:** ألا يلزمك شيء يا أستاذ؟

فكري: الوحي!

أبو النجف: لو كان الوحي يباع، كنت اشتريت لك منه ملء زكايب، لكن هذا الصنف لا أعرف أنا شخصيًّا في أي سوق يوجد!

فكري: ولا أنا شخصيًّا.

أبو النجف (وهو ينصرف)**:** الله يكون في عونك، الفاتحة لسيدي بشر، بجاهه وبركته ينزل عليك الساعة وحي، بجناح أبيض مرفرف، ابن حلال، يصور لك أبدع دور سينمائي لميمي كمال، الفاتحة، «بسم الله الرحمن الرحيم» (ينصرف وهو رافع يديه نحو السماء يتلو الفاتحة).

فكري (هامسًا)**:** الفاتحة لسيدي بشر، يخلصني على خير من هذه الرواية السخيفة، التي قبضت ثمنها ولا أدري ما ختامها!

(تظهر «ميمي كمال» وترتمي بسرعة على المقعد في الكابين محاولةً إخفاء نفسها، وهي مرتدية ثياب البلاج من سراويل وقبعة كبيرة من القش، ومنظار أسود، إلخ ...)

ميمي: أرجو ألا يكون قد لمحني، ما له يمشي هكذا رافعًا يديه إلى السماء؟ بهذا «البرنس» المضحك، وكرشه الذي يهتز أمامه، كأولئك الذين يقولون: «الحمد لرب مقتدر»!

فكري (وهو ينظر في ورقه)**:** يقرأ لك الفاتحة!

ميمي: لي أنا؟!

فكري: طبعًا، ألا تعرفين؟!

ميمي: أعرف، يا سيدي، مصيبة ونزلت على رأسي وأنا في زهرة شبابي!

فكري: مصيبة؟! تسمينه مصيبة، ذلك الذي ينفق من أجلك عشرات الألوف من الجنيهات؟! يا للنساء! يا للنساء!

ميمي: لي أحلامي الخاصة يا أستاذ، وهي منسوجة من خيوط الشعر، لا من خيوط الخيش!

فكري: خيوط الخيش هي وحدها التي ستنسج منك نجمةً سينمائية!

ميمي: ولو! ضع نفسك في مكاني!

فكري: أنا في مكانك موضوع جاهز، معك في نفس الزكيبة! جيوبي مملوءة بالذهب لأصنع لك الدور الذي يجعل «ريتا هيوارت» بجوارك «ريتا هباب» ويجعل من «جريتا جاربو» بالنسبة إليك «جريتا جربوعة»! اللهم رحمتك! ما أشد إغراء المال! به نقبل تحدي كل المعجزات، نحن الرجال.

ميمي: نحن أيضًا نساء بالمال نتحدى كل المعجزات إلا واحدة، الحب، حب رجل مثل بيومي أبو النجف.

فكري (بتهكم)**:** الحب؟ (يغرق في الورق) عن إذنك.

ميمي: نعم الحب، أيستطيع المال أن يشتري القلب؟

فكري: من فضلك، أريد أن أكتب.

ميمي: الوحي هبط؟

فكري: لا، ولكن الذي سيهبط هو المخرج، سيأتي الآن، يفتح حلقه، ويكرر الأسطوانة المعهودة، القصة يا أستاذ، موعد دخول الاستديو حان، السيناريو لم يقطع، الألحان لم توضع، الأدوار لم توزع، أنقذنا، أسعفنا، إلى آخر هذا الكلام الذي يصد النفس ويصدع الرأس.

ميمي: وجودي إذن يعطلك!

فكري: وجودك هنا لن يسرك.

ميمي: بالعكس، من أدراك؟

فكري: أي سرور وأي تسلية في أن تجلسي أمام رجل مطلوب منه أن يؤلف، ودماغه أفرغ من جوف هذه المحارة الملقاة على الرمل؟!

ميمي: أهذا لأنك تكتب لي أنا دورًا؟

فكري: لك أو لغيرك، الدور الذي أكتبه الآن لا بد أن يكون رائعًا، «الفيلم» كله سيكون تحفةً فنية! لأن الفن الرفيع هو الذي ينبع من أرفع الدوافع، ودوافعنا كلها ولله الحمد شريفة! الممول لا يهمه سوى إخراج هيامه، والمؤلف لا يهمه سوى إخراج قرشه، والمخرج لا يهمه سوى إخراج اسمه، والجمهور لن يبقى له سوى إخراج لسانه!

ميمي: دعاية مدهشة للفيلم منذ الآن، إنك صريح جدًّا، خذ مني نصيحةً؛ اترك ورقك الآن، وقم معي، نعم، قم والبس «المايوه»، وأنا ألبس «المايوه» ونسبح في الماء، لأن الوحي إذا لم تجده على الأرض فابحث عنه في البحر.

فكري: البحر؟ أنزل البحر؟

ميمي: ألا تعرف العوم؟

فكري: كما تعرفين أنت التمثيل.

ميمي: قم معي إذن.

فكري: ما هذا الكلام الفارغ يا حضرة النجمة؟ أترك عملي الذي جاءوا بي وتكلفوا ودفعوا لي من أجله، وأتبعك في هذا اللهو واللعب؟ أهذا يجوز؟ بدلًا من أن ألبسك أنا الدور، تلبسينني أنت «المايوه»؟

ميمي (تضحك): أليس هذا أحسن لك؟

فكري: لست أفكر الآن فيما هو أحسن لي، ولكن فيما هو أحسن عند «أبو النجف».

ميمي: «أبو النجف»! «أبو النجف»! ألا يمكن أن نفكر دائمًا إلا في هذا المخلوق؟ أليس من نكد الدنيا أن يريد مثل هذا الرجل أن يلف في خيشة قلبي وذهنك.

فكري: أرجوك، أرجوك، لا تحاولي أن تثيريني ضد هذا الرجل، نقوده في جيبي، وليس من السهل عليَّ أن أخرجها وألقي بها في وجهه، لا بد لي أن أكتب له قصة فيلمه، بأي طريقة، وجع ساعة ولا كل ساعة! (يعود إلى ورقه) عن إذنك!

ميمي: أهذا تأليف؟ أم خلع ضرس؟ لا يمكن أن تكون هذه حالتك في كل ما سبق أن كتبت ونشرت.

فكري (منهمكًا في الكتابة): من فضل حضرتك، اتركيني أكتب الفيلم الذي سيقال عنه كالعادة إنه رفع رأس السينما المصرية عاليًا!

ميمي (مستمرة): لا بد أن يكون قلبك قد تفتح يومًا ما لموضوع أعجبك وخلب لبك، فسال قلمك متدفقًا يكتبه بلذة، دون أن تفكر في غايته أو مصيره، هكذا الحب أيضًا، الحب الذي يملك قيادنا، ويسير بنا بلا غاية ولا غرض، إلى مصير مجهول، هذا الحب تعرفه طبعًا، أليس كذلك؟ أجبني يا أستاذ ... أجبني.

فكري (يرفع رأسه نحوها): نعم؟

ميمي: هل تعرفه؟

فكري (شاردًا): من هو؟

ميمي: الحب.

فكري: وآخرتها معك يا سيدتي؟! هل ترين أني خالي البال الآن للكلام في ... في الحب؟!

ميمي: ما هذه القسوة؟ أأنت تعامل كل النساء بهذه الطريقة، أم أنا فقط؟

فكري: لا تؤاخذيني، إني كما ترين «ملبوخ» لا أعرف لي رأسًا من قدم!

ميمي: حسبت أن الحديث في الحب يهدئ نفسك وينعش فكرك، أنت الرجل ذو القلب الرقيق، والإحساس المرهف، والمزاج العاطفي، والروح الشاعري، هذا الحب الذي له عندك نوع من القداسة.

فكري: أنا؟! من قال ذلك؟

ميمي: أنت الذي تملأ قصصك بالحب، لا بد أنك أحببت، لا بد أنك تعرف هذا الحب الصارم العارم العاصف الجارف، الساحق الماحق ...

فكري: يا ساتر!

ميمي: لا شك عندي في ذلك، إني أكون أسعد الناس لو حدثتني قليلًا عن حبك!

فكري (يتمسك بالصبر): حبي؟

ميمي: نعم، حبك، حدثني عنه، من هي السعيدة التي ظفرت بقلبك وملكت قياده؟

فكري: قياد ماذا؟ إنك واهمة أيتها الآنسة. إن قلبي ليس له قياد، ولا عيد ميلاد ولا محل إقامة، لا أعرف شيئًا عن تاريخه، كل معلوماتي عنه أنه تركني منذ زمن طويل، وانقطعت عني أخباره.

ميمي: بسبب امرأة؟

فكري: لا، أبدًا، بدون سبب.

ميمي: غير معقول!

فكري: الحاصل!

ميمي: أوَيمكن أن تعيش بدونه؟ أتعيش بغير حب؟ ألا تريد أن تحب؟ ألا تريد أن تخلص لشخص عزيز؟

فكري (يعود إلى الورق): أريد أن أخلص من قصة «أبو النجف».

ميمي (مستمرة): أتعيش حياتك كلها وحدك؟ ألا ينبغي لك أن تتزوج؟!

فكري (بدون أن يرفع وجهه عن الورق): أتزوج؟! إن شاء الله، بعد أن أقذف بنفسي أولًا في البحر!

ميمي: إنك مخيف!

فكري (وهو يكتب): قلت لك إن مجلسي لن يسرك.

ميمي: فليكن، ولكن الحديث معك يسرني، على الرغم من انشغالك عني بالعمل، لو كنت تترك أوراقك لحظة وتصغي إليَّ جيدًا، لفتحت لك صدري، وقلت لك أشياء، تعجب لها وتدهش، وربما ترضيك وربما تغضبك، لست أدري، ولكن سأقول، نعم يجب أن أتشجع وأقول، قبل كل شيء، أرجوك، أرجوك أن تلتفت إليَّ ... أتسمعني؟

فكري (يلتفت إليها شاردًا): أسمعك؟ طبعًا، أسمع!

ميمي: اترك ورقك وتعالَ اجلس هنا، في هذا المقعد المريح، إلى جانبي!

فكري: والشغل؟

ميمي: لن آخذ من وقتك أكثر من دقيقتين، أقول لك فيهما كلمتين.

فكري: ألا يمكن تأجيل الكلمتين إلى ما بعد ساعتين؟

ميمي: يكون الموقف قد برد.

فكري: أي موقف؟

ميمي: ستعرف الآن، تعال بسرعة هنا، ولا تضيع الوقت سدًى.

فكري (يترك مكانه بحركة آلية ويجلس حيث أشارت له بالجلوس): تفضلي، ما هو الموضوع؟

ميمي (تنهض برشاقة): تسمح أدير هذا الراديو قليلًا. (تدير الجهاز فتنبعث منه موسيقى) آه، إني أحب هذا النغم! إنه يثير في نفسي ذكريات! لطالما أبكاني، يا للمصادفة! في جو هذا النغم بالذات الذي حرك أشجاني فيما مضى، سأحدثك الآن، نعم، سأحدثك الآن ... (تجلس إلى جواره.)

فكري: تحدثيني عن ماذا؟

ميمي (بحرارة): عن عواطفي!

فكري (كاظمًا ما به وهو ينظر إلى ورقه المتروك): عواطفك؟! الآن؟!

ميمي: إنك تجهل ولا شك كل شيء عنها، إنك لن تصدق أن امرأة مثلي يمكن أن تكون رقيقة الإحساس، شاعرية النفس، لا يستهويها غير الخيال، ولا تبهرها غير الأحلام، ولا يعجبها من الرجال غير الفنان المحلق في سماء الشعر، الشارد في جو الأوهام.

فكري (وهو ينهض من جوارها ويسرع إلى جهاز الراديو ويغلقه): جو الأوهام! أيوجد اليوم فنان شارد في جو الأوهام؟

ميمي: أرجوك، لا تكن قاسيًا، اجلس قليلًا!

فكري: أنا الذي أرجوك، وأتوسل إليك، أن تتركيني أكتب القصة لتاجر الخيش.

ميمي: أتزدري عواطفي؟!

فكري: العفو يا آنسة، إنما الشغل يحكم، الشغل! الشغل!

ميمي (تخرج منديلها الصغير وتجفف دموعها): إني سيئة الحظ، قليلة البخت، من يومي! (تنشج وتشهق بالبكاء) نعم، من يومي!

فكري (كالمخاطب نفسه وهو ينظر إليها حائرًا ساخطًا): آه، يا له من يوم! والعمل الآن؟

ميمي: حتى دموعي لا تؤثر فيك؟!

فكري: مؤثرة جدًّا، لكن، ماذا بيدي؟ معي منديل كبير تجففين به عينيك!

ميمي: أهذا كل ما تستطيع أن تقدمه إلي؟

فكري: أستطيع أن أقدم إليك نصيحة: اذهبي واغسلي وجهك في موجة من هذه الأمواج الهادئة البيضاء التي تداعب الشاطئ، ثم «تشقلبي» فوق الرمال ثلاث أو أربع مرات، ثم انهضي واقفزي في الهواء قفزةً قوية، ثم ارقصي على «البلاج» «سامبا» و«فوكس تروت»، تجدي النشاط قد دب في روحك المعنوية.

ميمي (تنهض): متشكرة، الآن فقط صدقت حقيقة أنك رجل تعيش بغير قلب وبغير شعور، تكتب عن العواطف وتصورها ولا تعيشها، تبيعها للناس في الورق ولا تستعملها، تمامًا مثل «بيومي أبو النجف»؛ يبيع الخيش للناس، ولا تجد في بيته خيشة، «باي باي»! (تنصرف بسرعة.)

فكري (وحده يتنفس): أف! (يستنشق الهواء ويمسك رأسه بكفيه) ما ألذ الهدوء! الهدوء! (يحرك ذراعيه متنشطًا) والآن، إلى الورق ... (ينكب على العمل.)

(يظهر المخرج وهو «جلال أنسي»، ويرتمي على مقعد وهو يتوجع.)

جلال (ممسكًا بقدمه): آه يا رجلي، يا قدمي، يا ساقي، يا مفاصلي، يا ركبي، يا ... يا ... يا ...

فكري (يترك ورقه ويلتفت إليه): ماذا جرى لك أنت أيضًا يا حضرة المخرج؟

جلال: جرى لي ما لم يسبق أن جرى لي.

فكري (ناظرًا إلى ورقه متنهدًا): خيرًا؟

جلال: نزلت اليوم في الصباح الباكر أمشي على الكورنيش ...

فكري: عندي خبر!

جلال: وجدت أمامي أبدع قوام ممشوق صادفته في حياتي، قوام لا يدانيه في الدنيا كلها غير قوام «إستر وليامز»!

فكري (بغير اكتراث)**:** مفهوم.

جلال: تبِعتُ صاحبة هذا القوام.

فكري: طبعًا.

جلال: كانت تسير أمامي على بعد عشر خطوات.

فكري (بصبر نافد)**:** وأخيرًا؟

جلال: أخيرًا، صبرًا، نحن لا نزال في أول الطريق.

فكري: تفضل!

جلال: سارت وسرت خلفها حتى محطة «بولكلي»، ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة «سيدي جابر»، ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة «الإبراهيمية»، ثم سارت وسرت خلفها إلى محطة «الشاطبي»، ثم سارت وسرت ...

فكري: أرجوك، لا داعي أن تجرني إلى كل المحطات! النتيجة؟ أين وصلتما؟ في أي محطة؟

جلال: لم نصل، لا توجد محطة وصول.

فكري: وهذا السير؟

جلال: مستمرًّا!

فكري: أنا غير فاهم.

جلال: اصبر عليَّ يا أستاذ، وأنت تفهم.

فكري: تفضل!

جلال: أين وقفنا؟ في أي محطة؟

فكري: «الشاطبي»!

جلال: وصلنا «الشاطبي»، ولكنها لم تقف، واستمرت في السير، وأنا طبعًا خلفها، سارت وسرت حتى محطة «الرمل»!

فكري: الحمد لله!

جلال: انتظر يا أستاذ، لا تتعجل، لم تقف في محطة الرمل.

فكري: هذا نهاية الخط!

جلال: لم تقف في نهاية الخط، وسارت وسرت.

فكري (في صيحة دهشة)**:** سارت وسرت؟! بعد كل ذلك؟ إلى أين؟

جلال: الأنفوشي، ثم سارت وسرت خلفها!

فكري (كالمجنون)**:** انتظر، انتظر يا أخي!

جلال: إنها لم تنتظر وسارت وسرت.

فكري: حلمك، حلمك، فهمني، عندما طال بكما الطريق هكذا ألم تستوقفها؟

جلال: أبدًا!

فكري: ألم تكلمها؟

جلال: أبدًا!

فكري: وما الذي أسكتك وألجمك وكتفك وقادك في ذيلها كل هذا الطريق الطويل الذي يقطع النفس؟!

جلال: خطر لي أن أكلمها عندما وصلنا إلى محطة «بولكلي»، كان ظني أنها تقصد «بلاج ستانلي»، ولكنها عندما واصلت السير، أجلت الكلام حتى أعرف بالضبط أين تقصد، فلما مررنا بكل البلاجات والكازينوهات وهي لا تعرج عليها ولا تقف عندها، بل تمضي في سيرها الجاد لا تلوي على شيء، ولا تلتفت يمينًا ولا يسارًا ولا وراء، تملكتني في الحقيقة دهشة وحيرة وعجب وحب استطلاع، وأصبح كل همي أن أعرف وجهتها وأقف على آخرة مطافها، فلم أرد عندئذٍ أن أكلمها حتى لا يفسد فضولي ترتيبها أو يغير اتجاهها، واكتفيت بالمشي خلفها لأرى آخرة هذا المسير، ولكن هذا السير استمر، وسارت وسرت!

فكري: أيضًا؟

جلال: نعم، أين وقفنا؟

فكري: الأنفوشي.

جلال: سارت بعدئذٍ في شوارع أدت بنا إلى ميدان «محمد علي»، ورأيتها اتجهت إلى موقف «الأتوبيس» الذي يذهب إلى الرمل! فتنفست وقلت في نفسي جاء الفرج، إنها ستركب عائدة، وسأستريح أنا من هذا المشي الذي كاد يهلكني، لكن للأسف!

فكري: للأسف؟! ألم تقف؟

جلال: أبدًا، سارت متجهةً في طريق المكس.

فكري (صائحًا)**:** المكس؟! يا قوة الله! وأنت؟ أيها المسكين؟!

جلال: أنا؟! اسمح لي، الطاقة البشرية لها حدود، ما شعرت إلا وأنا ساقط من الإعياء فوق سلم «الأتوبيس»، وخيل إليَّ وأنا شبه غائب عن الوعي أن يد «الكمساري» تنتشلني

وتجلسني على المقعد، ولم أتمالك نفسي إلا منذ قليل، وها أنا ذا أمامك أعود وكأني فقدت قدمي وأضعت مفاصلي.

فكري: وتلك المخلوقة؟!

جلال: تسير، لا تزال تسير، أغلب ظني أنها الآن قد تركت «مريوط» وسارت في الطريق الصحراوي إلى القاهرة!

فكري: أهذه امرأة؟!

جلال: من الجنس اللطيف، الضعيف، في غاية الرقة والرشاقة!

فكري: يا لطيف!

جلال: لو أن الله هداها ووقفت دقيقةً واحدة، لكنا ظفرنا بوجهٍ جديد، لم تر له السينما المصرية نظيرًا، هذه حقًّا هي النجمة التي كانت تستطيع أن تسير بالسينما المصرية!

فكري (مقاطعًا)**:** تسير بالسينما، إلى أين؟ بدون أدنى شك، كانت تسير بالسينما وبالمخرجين والمؤلفين إلى أن تكسحهم، وتخلع مفاصلهم، وتوجع ركبهم، كفاية يا حضرة المخرج، دع السينما المصرية في حالها! ودعني أنا أيضًا في حالي، أكتب لكم الكلمتين، وأنتهي منكم على خير! (يعود إلى ورقه) عن إذنك!

جلال: أولم تنته من القصة بعد يا أستاذ؟! الاستديو موعد دخوله اقترب، السيناريو لم يقطع، والحوار …

فكري: والحوار لم يوضع، والأدوار لم توزع، والألحان والديكور، أعرف الأسطوانة، لا داعي لترديدها، لكن ماذا أصنع؟ الهدوء، أين الهدوء؟ خمس دقائق هدوء!

جلال: أويوجد أهدأ من هذا المكان البديع، هذا الكابين المطل على البحر بلونه الأخضر، تحت هذه السماء بلونها «اللازوردي»؟ أليس هذا أليق مكان في الصيف تظهر فيه بنات أفكارك؟!

فكري: بنات أفكاري؟! حتى بنات أفكاري يجب أن تظهر في الصيف على «البلاج»؟

جلال: أنا شخصيًّا لا أرى مكانًا أنسب لتأليفك من هذا المكان، من واجبي أن أراعي مزاجك، وأحيطك بكل ألوان الراحة والرفاهية، وأحرص على كل ما يروق بالك ويصفي ذهنك ويوقظ خيالك!

فكري: حقًّا، مثل المانجو الهندية والزبدية والبطارخ والسيجار!

جلال: كيف عرفت؟ من قال لك؟

فكري: حجرتي رقم ١٥؟!

جلال (ضاحكًا): الواقع يا أستاذنا أنك ذكرت رقم حجرتي أنا سهوًا، بدل رقم حجرتك، كما يحدث أحيانًا.

فكري: وأكلت المانجو والبطارخ ودخنت السيجار بدلًا مني سهوًا؟!

جلال: الحق، عندما وجدت هذه الأشياء في حجرتي، لم أفكر في سبب وجودها، واكتفيت بأكلها.

فكري: أحسنت صنعًا، تلك القسمة العادلة، أنت الذي تأكل وتتمتع، وأنا الذي يجب أن يروق باله ويصفو خياله!

جلال (ضاحكًا): وأبو النجف؟! هل عرف الحقيقة؟!

فكري: لا، لم أحب أن أكشفك، استمر! لكن، ما عدا السهو والغلط!

جلال: اطمئن من الآن، كلام شرف، المهم هو أن تكتب، وأن تسلمني القصة في ظرف ... في ظرف كم يوم حسب تقديرك؟

فكري: هذا يتوقف على الجو!

جلال (ناظرًا إلى السماء والفضاء): الجو غير منتظر أن يتغير!

فكري: لا أتكلم عن هذا الجو، إني لست طيارًا ولا بحارًا، إنما أقصد جو الهدوء والسكينة حولي!

جلال: ومن الذي يجرؤ أن يعكر عليك جوك وأنا موجود؟! (يجس عضلاته) إني كما تعلم رياضي قديم، ولي عضلات أقذف بها من شئت إلى هذا البحر!

فكري: ابعد عني «أبو النجف»!

جلال (متضائلًا): آه، إلا هذا، صاحب الفيلم والمال!

فكري: ابعد عني «ميمي كمال»!

جلال: آه، إلا هذه، التي لسواد عينيها يصنع الفيلم وينفق المال!

فكري: إذن اسكت، لا فائدة لي منك، (يعود إلى ورقه) عن إذنك.

جلال (يعود إلى قدمه): آه يا ركبي، يا رجلي، يا مفاصلي ...

فكري (يلتفت إليه): أأنت الذي ستضمن لي الهدوء؟ أغلق لي فمك!

جلال: سكت وأغلقت فمي، اكتب، لن يعكر صفوك أحد، وأنا هنا.

(يظهر رجل يرتدي معطفًا فوق جلباب سكروتة وعلى رأسه طربوش.)

الرجل: من فضلكم، «بيومي بك أبو النجف»!

جلال (بخشونة): ليس هنا.
الرجل: قالوا لي في الفندق رح له في الكابينة!
جلال: غير موجود هنا!
الرجل: أين يمكن أن أجده؟
جلال: لا نعرف!
الرجل: وماذا أعمل؟
جلال: تسألنا نحن؟ أهذا شيء يخصنا؟
الرجل: بيني وبينه ميعاد مهم!
جلال: لا شأن لنا.
الرجل: من حضرتكم؟
جلال: شيء بارد!
فكري (يرفع رأسه عن الورق): أف! ما هذا اللغط؟!
جلال: لست أنا المصدر، (يشير إلى الرجل) حضرته!
الرجل: أبو النجف بك، بيني وبينه ميعاد!
فكري: انتظره، المسألة لا تحتاج إلى كل هذا الجدل، اجلس هنا وانتظره!
الرجل: متشكر (يجلس على مقعد في الطرف)!
فكري (يعود إلى ورقه): عن إذنكم!
جلال (لفكري): شيء غريب! هكذا بكل بساطة، وأنا الذي أريد أن أبعد عنك مضايقات الناس! من أدرانا أن حضرته صادق في دعواه؟ ومن أدرانا أن «أبو النجف» بك يسره أن يراه؟ ومن أدرانا أنه ليس من أدعياء الفن الذين يلحون على المولين والمنتجين للحصول على دور من الأدوار؟! انظر إلى هيئته، أهذا يصلح للقيام بدور ما في أي فيلم عصري؟! انظر إليه، أرجوك لحظة أن تنظر إليه!
فكري (يرفع رأسه عن الورق بضيق): نظرت!
جلال: يصلح لأي دور مثل هذا الرجل؟
فكري (يبتعد عن أوراقه ساخطًا): أواثق أنت بأنه جاء يطلب دورًا في الفيلم؟
جلال: مؤكَّد!
فكري: كل إنسان في الدنيا تنظر إليه أنت على هذا الأساس؟ يصلح أو لا يصلح لدور سينمائي؟

جلال (ينظر إلى الرجل مليًّا): سمسار، «أبونيه»، تاجر مواشي.

فكري: «أبو النجف» ينظره باهتمام، فلا بد أن يكون ذلك لأمر يتصل بأعماله التجارية!

جلال (بانتصار): نظرتي إذن مضبوطة.

الرجل (خارجًا عن إصغائه الصامت): آسف جدًّا يا حضرة الفاضل، تسمحون لي بكلمة بسيطة، ولو فيها تطفل مني.

فكري: بالعكس، الموضوع يخصك، وأنت أدرى به منا، نحن المتطفلون.

الرجل: العفو، أنتم أهل النظر، فراستكم صادقة، وحكمكم في محله.

جلال: ما هي مهنتك؟

الرجل: مهنتي لها دائمًا علاقة بالمواشي.

(يظهر أبو النجف، ويرى الرجل، ويتجه إليه مباشرة.)

أبو النجف (للرجل): أنت؟ أنت هنا في انتظاري؟

الرجل: من مدة قصيرة.

أبو النجف (بلهفة): تعال نتباحث في مسألتنا في مكان آخر.

فكري (ينهض): بل أنا الذي أريد أن أذهب إلى مكان آخر، أغير هذا الجو!

أبو النجف: لا يا أستاذ، لا يمكن، هذا مكانك!

جلال (ينهض): له حق، دعه يحرك رجليه قليلًا على البلاج، بعد طول الجلوس، ربما أفاده ذلك، (لفكري) هلم بنا نأخذ حمام شمس على هذا الرمل، آه يا مفاصلي، ربما استطاعت الأشعة البنفسجية أو التي فوق البنفسجية!

(يخرج «فكري» وهو يعين «جلال» الذي يعرج، ويبقى «أبو النجف» مع الرجل في الكابين وحدهما.)

أبو النجف (للرجل): ماذا صنعت لي؟

الرجل: كل ما فيه الفائدة إن شاء الله، «بيتنا الأتر»، لكن لا بد من عمل الحجاب.

أبو النجف: قلت لك لا تكلمني في مسألة الحجاب! بك طويل عريض في مركزي يلبس أحجبة، على آخر الزمن!

الرجل (بخبث): الحجاب يا سعادة البك هو أرخص طريقة!

أبو النجف: أرخص؟ أأنا أبحث عن الرخص أم عن الشيء المضمون؟!

الرجل: موجود الشيء المضمون الذي لا يلبس ولا يحمل ولا يرى، ولكنه يكلف.

أبو النجف: كم يكلف؟

الرجل: خمسين جنيهًا!

أبو النجف: أرني هذا الشيء؟

الرجل (يخرج من جيبه قارورةً صغيرة)**:** بها سائل بسيط، مثل دمع العين، كما ترى سعادتك، ولكنه مركب من عقاقير نادرة جدًّا.

أبو النجف: وكيفية الاستعمال؟

الرجل: بسيطة، أغمس إصبعي في هذا السائل، وأكتب على جبينك كلمة مسحورة، فإذا وقع بصر الحبيبة عليك بعدئذٍ وقعت في غرامك في الحال بقدرة قادر.

أبو النجف: عجيبة! حتى ولو كانت الحبيبة تنفر منك، وتستثقل ظلك، ولم ينفع في كسب قلبها المال، ولم ينجح في إغرائها المجد.

الرجل: لو كتبنا بهذا السائل على جبين قرد، لانقلب في الحال في نظر الحبيبة إلى غزال!

أبو النجف: أسرع إذن إليك جبيني!

الرجل: أرقيك أولًا، (يرقيه مارًّا بيده فوق رأسه ووجهه) حدرجة بدرجة، من كل عين دارجة، يا بير بلا قعر، يا كف بلا شعر، يا معزة بلا ديل، يا شجرة بلا ورق، والعين عنك تفترق، كما افترق الندى عن المرق، والعين إذا شافت والقلب إذا نضر، عين المرة أحد من الشرشرة، وعين الراجل أحد من المناجل، وعين الضيف أحد من السيف، وعين البنت أحد من الخشت، وعين اللي شافك ولا صلاش على النبي. (يغمس أصبعه في القارورة) الأولة بسم الله، والتانية بسم الله، والتالتة بسم الله، والرابعة من عين اللي شافك ولا صلاش على النبي! والآن أغمض عينيك؛ لأكتب الكلمة المسحورة، (يخط على جبين أبي النجف وهو يتمتم) ح ... م ... ا ...

أبو النجف (صائحًا وهو مغمض العينين)**:** حمار؟!

الرجل: لا، لا، لا يوجد راء، بل هاء.

أبو النجف: هاء؟! حماه؟ حمى من؟

الرجل: حمى أمير الجن الأمرد الذي يخدمك، ستكون في حماه!

أبو النجف: أفتح عيني؟

الرجل: نعم، افتح الآن عينيك، انتهى كل شيء على خير بإذن الله!

أبو النجف (يمد يده إلى جبينه): وهذه الكتابة ...

الرجل (بسرعة): حذار أن تمسها يدك، أو تمسحها أو تغسل وجهك أو تستحم في البحر، قبل أن ترى الحبيبة وجهك.

أبو النجف: وهل سترى الكتابة على جبيني؟

الرجل: لا، الكتابة غير منظورة، ولكنها سترى جبينك وضاءً، ومحياك جميلًا.

أبو النجف (يشير إلى بطنه): وكرشي؟!

الرجل: ستراه لطيفًا!

أبو النجف: وقوامي؟

الرجل: ستبصره نحيفًا!

أبو النجف (يخرج محفظته): كل هذا بخمسين جنيهًا! (يعطيه المبلغ) سعر معقول!

الرجل (وهو يضع المبلغ في جيبه): سعر التكاليف، نحن لا يهمنا غير خدمة الزبون.

أبو النجف (ملتفتًا جهة البلاج ثم يصيح): ها هي ذي تسير على البلاج في اتجاهنا.

الرجل (يلتفت): أهي هذه المقبلة؟

أبو النجف (باضطراب): نعم، (يرفع يده إلى جبينه هامشًا) حـ ... مـ ... ا ...

الرجل: لا تلمس جبينك، لئلا تمس الكتابة، تشجع وقابلها بثبات، واسمح لي بالانصراف، (يتحرك بسرعة).

أبو النجف: أتتركني؟

الرجل: أتركك مع حارسك الأمين، الحروف الأربعة التي فوق الجبين، سلام عليكم!

(ينصرف الرجل على عجل، ويترك «أبو النجف» وحده في الكابينة مرتبكًا مضطربًا يمد يده بحذر نحو جبينه ثم يجذبها بسرعة خشية أن يلمسه، إلى أن تظهر «ميمي» من طرف المكان.)

ميمي: أنت هنا؟

أبو النجف (في اضطراب): نعم.

ميمي (تبحث بعينها): وأين، الأستاذ؟

أبو النجف: ذهب يتشمس مع جلال المخرج.

ميمي (تتحرك): إني عائدة إلى الفندق أستريح في حجرتي.

أبو النجف: ابقي لحظة.

ميمي: لماذا؟
أبو النجف: لي معك كلام!
ميمي: أي كلام؟
أبو النجف: خبر سار، عندي لك خبر سار!
ميمي: ما هو؟
أبو النجف (يشير إلى مقعد)**:** اجلسي هنا قليلًا وأنا أخبرك.
ميمي (تجلس)**:** أخبرني ما هو هذا الخبر السار؟
أبو النجف: انظري إلى بإمعان.
ميمي: تكلم، إني مصغية.
أبو النجف (يقف أمامها متصنعًا الرشاقة)**:** حدقي ودققي في الشخص الذي أمامك.
ميمي (غير فاهمة)**:** أحدق وأدقق؟!
أبو النجف: نعم، ما رأيك في الآن على وجه العموم؟
ميمي: ما هذا السؤال المحرج؟
أبو النجف: أجيبي من فضلك، بكل صراحة.
ميمي: ما لزوم ذلك الآن؟!
أبو النجف: ألا ترين الآن شيئًا يستحق إبداء رأيك؟!
ميمي: رأيي أحتفظ به لنفسي.
أبو النجف: بالعكس، لا تحرميني سماع هذا الرأي، إنه يملؤني سرورًا وفخرًا وسعادة!
ميمي: سرور وفخر وسعادة؟ رأيي؟ فيمن؟ في ماذا؟!
أبو النجف: فيما تبصرين الساعة، إنك طبعًا ترين الآن أمامك؟
ميمي: طبعًا!
أبو النجف: هذا الذي أريد أن أعرفه منك، ترين ماذا؟!
ميمي (بسخرية)**:** تريد الصراحة؟ أرى أمامي شيئًا اسمه مكون من أربعة أحرف!
أبو النجف: أربعة أحرف؟!
ميمي: تريد أن تعرف الحرف الأول؟
أبو النجف: نعم، ما هو الحرف الأول؟
ميمي: الحرف الأول: ح.

أبو النجف: شيء عجيب! والحرف الثاني؟
ميمي: الحرف الثاني: م.
أبو النجف: مدهش، والحرف الثالث؟
ميمي: الحرف الثالث: ا.
أبو النجف (صائحًا)**:** كفاية أنت تقرئين من وجهي.
ميمي (باسمة)**:** أمعترف بذلك؟
أبو النجف (تمتد يده إلى جبينه ثم ترتد)**:** مؤكد، أنت ترين المكتوب على جبيني، أهو منظور إذن وظاهر إلى هذا الحد؟!
ميمي (باسمة)**:** ظاهر جدًّا، شيء واضح جدًّا.
أبو النجف: وكيف قيل إنه لا يُرى ولا يظهر، أمعك مرآة؟!
ميمي (في دهشة وابتسام)**:** مرآة؟! تريد أن ترى هذا في المرآة؟!
أبو النجف: بدون شك ما دمت قد رأيت هذا، فلا بد أن يكون موجودًا حقيقةً.
ميمي: هذا شيء أراه أنا، وقد يراه غيري، ولكنك لن تراه أنت في المرآة!
أبو النجف: على كل حال ما دمت قد رأيت ذلك، فهذه بشرى طيبة وعلامة مطمئنة!
ميمي (بدهشة)**:** علامة مطمئنة؟! لمن؟ لك؟
أبو النجف: طبعًا؛ لأنك لا بد أن تكوني قد رأيت الباقي!
ميمي: الباقي؟! أي باقٍ؟!
أبو النجف: شكلي، ألم ينقلب؟ ألم يتغير؟ انظري إليَّ أولًا بالجملة.
ميمي: بالجملة أو بالقطاعي، ما هو الداعي؟ سأبيعك، سأشتريك، سأتاجر فيك؟!
أبو النجف: تأمَّليني جيدًا، تبصري العجب.
ميمي (تتأمله بابتسامة تهكم)**:** تأملتك جيدًا، أين هو العجب؟!
أبو النجف (يقف متصنعًا الرشاقة)**:** قوامي!
ميمي (لا تستطيع كتم ضحكها)**:** قوامك؟!
أبو النجف: ألا ترينه الآن نحيفًا؟
ميمي: نحيفًا! بهذا الكرش؟!
أبو النجف (مصدومًا)**:** الكرش! أتبصرين لي كرشًا؟!
ميمي: طبعًا، دائمًا.
أبو النجف (يلمسه)**:** أهو لا يزال موجودًا؟!

ميمي: وأين تريد أن يذهب؟

أبو النجف: أتبصرينه حقًّا بعينيك؟!

ميمي: إني لست عمياء، ها هو ذا صدرك وأمامه الكرش مثل الفنطاس فوق عربة الرش!

أبو النجف: عربة الرش؟!

ميمي: أتكذب الواقع؟!

أبو النجف: ارفعي عن عينيك هذه النظارة، السوداء، وانظري إليَّ من جديد بالعين المجردة.

ميمي (تخلع منظارها الأسود): ها أنا ذي أخلع المنظار الأسود، وأنظر إليك بكل تفاؤل، بالعين المجردة، المنزهة، عن كل غلط وغرض ومرض!

أبو النجف: ماذا ترين الآن؟!

ميمي: نفس الشخص والشكل والحجم واللحم!

أبو النجف: مستحيل، أنا تغيرت، تبدلت، تحولت، وجهي مضيء بالنور كالطبق «البنور»، ومحياي جميل، وقدي نحيل ...

ميمي (بتهكم): يا عيني! يا عيني!

أبو النجف: وكان الواجب أن تلاحظي ذلك.

ميمي: متأسفة، إني لست قوية الملاحظة!

أبو النجف: وكان المنتظر أن تكوني الآن قد وقعت في غرامي!

ميمي: وما الذي حال دون وقوع هذه الكارثة؟!

أبو النجف: هذا الذي يحير عقلي! أهي مكابرة منك؟ أهو احتيال أنا ضحيته؟ هذا جائز، وذاك جائز، ولكن الذي كان ينبغي أن يتم هو أن أكون قد بهرتك واستوليت على قلبك منذ خمس دقائق!

ميمي (بسخرية): منذ خمس دقائق؟! ما كل هذا التأخير يا نور عيني؟

أبو النجف: خمس دقائق، ثلاث دقائق، مسألة الوقت ليست بذات أهمية!

ميمي (ناهضة من مقعدها): ما دام الأمر كذلك فاصبر عليَّ قليلًا.

أبو النجف: قليلًا؟ متى؟ في ظرف كم؟

ميمي (وهي منصرفة): في المشمش، ربما عيني تفتح!

(تنصرف تاركةً «أبو النجف» وحده في الكابينة، واقفًا بلا حراك يشيعها بنظرات جامدة ذاهلة.)

أبو النجف (يثوب إلى نفسه وينتفض ثائرًا): يا للرجل النصاب! المحتال، الدجال، أمير الجان! ح ... م ... ا ...

(ينهال على جبينه مسحًا بشدة وعنف وغيظ، وعندئذٍ يظهر «فكري» و«جلال» قادمين من حيث ذهبا.)

فكري: ما هذا الذي تمسحه من على جبينك؟ قبلة؟

أبو النجف (بحرارة): قبلة؟ (يهز رأسه ويتنهد.)

فكري: على ذكر القبل كنا نتباحث الآن أنا وحضرة المخرج في دور «ميمي كمال» وهو غير موافق على رأيك.

جلال: أنا قلت إني غير موافق على رأي «أبو النجف بك»؟!

فكري: وماذا قلت إذن؟

جلال: قلت إن دور «ميمي كمال» يحتاج من الوجهة الفنية إلى قليل من التوابل والبهارات.

أبو النجف: توابل وبهارات؟! هذه أول مرة أسمع فيها أن التوابل والبهارات توضع أيضًا في أدوار السينما.

فكري: يقصد أن الدور فاتر، لأنها فيه لا تغازل أحدًا، ولا أحد يغازلها.

أبو النجف (للمؤلف): وماذا يريد حضرته أن تفعل البطلة المحتشمة؟

جلال: تفعل ما تريده حضرتك، المال مالك، والرأي رأيك!

أبو النجف: رأيي يعرفه الأستاذ! (يشير إلى المؤلف.)

فكري: نعم أعرفه، ستعيش هذه البطلة المحتشمة بعيدةً عن الناس والرجال طول أيام حياتها.

جلال: أين ذلك؟ في جزيرة مهجورة؟!

فكري: يكون أحسن وآمن وأصون!

جلال: ولكن الرواية مصرية عصرية، حسب ما فهمت!

فكري: ستحيا البطلة في بيئة محافظة جدًّا من أهل الصعيد، لا تخرج إلى الطريق، ولا تطل من شباك، ولا يظهر طيفها لغريب أو قريب.

جلال: ولكن ميمي راقصة ويجب في دورها أن ترقص!

فكري: سترقص لنفسها بين جدران أربعة.

جلال: والثياب الفاخرة التي تصر «ميمي» من الآن على إعدادها للفيلم؟

فكري: ستلبسها وتختال بها في حجرتها والستائر مسدلة، وكيف تنتهي هذه القصة؟

جلال: في مستشفى المجاذيب طبعًا!

فكري (صائحًا)**:** البطلة؟! ستدخل مستشفى المجاذيب؟

أبو النجف: اطمئن، ليست البطلة، بل المؤلف والمخرج! ماذا تقول؟

فكري: الكلام الجد، اسمع يا «أبو النجف بك»، فيلم بهذا الوضع لا يمكن أن يسلي مخلوقًا، حتى ولا أنت، المقترح لهذه الفكرة النيرة.

أبو النجف: أغضبت؟ لا أحب أن تغضب، فلنتفاهم بالراحة.

فكري: نعم، فلنتفاهم، أتظن من المعقول أن تظهر بطلة شابة راقصة في فيلم ولا تجد أحدًا يحبها؟

أبو النجف: «ميمي»؟ لا تجد أحدًا يحبها! آه، آه. يا ألف آه!

فكري: أقصد داخل الفيلم لا في الخارج، مفروض في بطلة الرواية عادةً أن تكون محبوبةً في الرواية.

أبو النجف: فليكن يا سيدي، في الرواية وفي غيرها.

فكري: نعم، سأجعل شخصًا يحبها في الرواية، ولك عليَّ أن أجعلها هي من جهته لا تحبه ولا تميل إليه وتنفر منه ولا تعطف عليه وتستثقله ولا تستخف ظله!

أبو النجف: أيضًا؟!

فكري: ما قولك في هذه الفكرة؟!

أبو النجف: هذا شيء معروف، هذا هو الحاصل، بالفعل، أين إذن التأليف يا أستاذ؟!

فكري: إن شئت فإني أحور الفكرة وأجعلها تحبه وتقع في غرامه.

أبو النجف: تقع في غرام من؟ غرامي؟!

فكري: لا، بل بطل الفيلم طبعًا.

أبو النجف: الولد الممثل الأجرب، الذي جاء به أمس حضرة المخرج، وحررنا له عقدًا بمائتي جنيه؟!

فكري: غرام بالطبع تمثيلي في الفيلم فقط.

أبو النجف: ومن أدرانا؟ ألا يجوز أن يصدِّقا الموضوع، ويستمرَّا في دور الحب، بعد الرواية والفيلم، إلى ما شاء الله؟!

فكري: احترت واحتار دليلي، عندك أنت فكرة يا حضرة المخرج؟

جلال: لا، أبدًا، الأفكار النيرة عند «أبو النجف بك»! وما دام هو الذي يكلف، فلنطبخ له نحن على هواه.

أبو النجف: بالتوابل والبهارات؟!

جلال: بدون ملح بالمرة!

أبو النجف: دعنا من الكلام في الطبخ والغرف، إني أريد أن يكون هذا الفيلم درسًا وعظةً، (يلتفت إلى المؤلف) لماذا لا تعالج فيه يا حضرة المؤلف هذه المشكلة العويصة التي دوخت الناس وأعيت النفوس، هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة التي عجزَت عن حلها العقول والألباب، واستعصى داؤها على العلماء، ونُطُس الأطباء!

فكري: أي مشكلة؟

أبو النجف: هذه المرأة.

فكري: أي امرأة؟!

أبو النجف: هذه المرأة ذات القلب الحجر، والفؤاد الصخر، والشعور الزلط، والعواطف الأسمنت، لا بالمال والسخاء تلين، ولا بالتوسل والاستعطاف ترق، ولا بالتذلل والإخلاص تحن، ولم يقدر على قلبها حب ولا ذهب ولا فن ولا جن!

فكري: أتدري ما الذي يلين قلب مثل هذه المرأة؟

أبو النجف: ماذا؟ أسعفني!

فكري: شيء يكلف.

أبو النجف: كم؟ قل ولا تخف، عشرين ألفًا، ثلاثين ألفًا، خمسين ألفًا!

فكري: قرش واحد!

أبو النجف: قرش واحد؟!

فكري: ثمن عصا بسيطة، تنزل بها على جسمها الغض البض، و«تنتشها علقة» لكن نظيفة، ولا تكف عنها حتى يذرف الدمع السخين، ويلين عظمها على لحمها، عندئذٍ ثق بأن قلبها هو الآخر قد لان.

أبو النجف (فاغرًا فاه): عجيبة!

جلال: هذه وصفة مجربة.

أبو النجف (مطرقًا متأملًا): فكرة وجيهة!

جلال: حقًّا، هذا موقف سينمائي مائة في المائة، وسأعرف كيف أجعل منه «كليماكس» السيناريو!

أبو النجف (يلتفت حوله باحثًا، ويقع نظره على عصًا خشبية معلقة بها ستارة من ستائر الكابينة، فينزعها قائلًا): هذه تنفع؟

جلال (صائحًا): ماذا أنت صانع بها؟!

فكري: عن إذنكم دقيقتَين! (ينصرف بسرعة حاملًا الخشبة في يده.)

جلال: إلى من يذهب بهذه الخشبة؟! إلى ميمي؟!

فكري: ميمي أو غيرها، لعنة الله عليهن جميعًا! (يعود إلى ورقه) عن إذنكم!

جلال (ملتفتًا جهة البحر يصيح فجأةً): القيوم!

فكري: ماذا دهاك؟

جلال (مشيرًا بأصبعه): انظر ...

فكري (يلتفت): أنظر إلى ماذا؟!

جلال: هذه الصخرة، انظر إلى هذه الصخرة، ماذا ترى عليها؟!

فكري (ناظرًا إلى الصخرة): امرأة.

جلال (هاتفًا): هي ... هي ... هي!

فكري: هي من؟

جلال: المرأة التي خلعت مفاصلي هذا الصباح!

فكري: هذه الواقفة فوق الصخرة كالتمثال؟!

جلال: هي بعينها! ما بالها تطيل التحديق هكذا في الماء؟!

فكري: إنها الآن تضع كفيها على عينيها.

جلال (صائحًا): انظر، تقذف بنفسها في البحر، إنها تلفظ صيحة، أسامع؟

فكري (ناظرًا بانتباه): نعم!

جلال: إنها تغيب في جوف الماء!

فكري (ناظرًا): حقًّا!

جلال: إنها لم تظهر بعدُ على السطح!

فكري (صائحًا): هذه امرأة تنتحر، النجدة، أنجدوها، أنجدها ...

جلال (مرتاعًا): أنا؟ أنا أسير خلفها بين الموج؟!

فكري (صائحًا): النجدة! أتتركها بلا نجدة؟ أتتركها تغرق؟ تحت أنظارنا تغرق، أنحن رجال؟! (يريد أن يندفع من الكابين.)

جلال (يمسك به): قف! ماذا تفعل؟

فكري (يتخلص منه): أُنقِذُها، لا بد من إنقاذها، دعني، دعني، لا تضيع الوقت!

جلال (يحاول وقفه)**:** انتظر!

فكري (ينجد بقوة)**:** الغريق لا ينتظر.

جلال: أتحسن العوم؟

فكري (وهو يجري نحو البحر)**:** لا يهم!

جلال (صائحًا به)**:** جنون، هذا هو الجنون! إنك سائر خلفها في البحر! أنا الذي سرت خلفها على البر وجرى لي ما جرى، ارجع واسمع كلامي، ارجع، ارجع ... (ناظرًا إلى البحر بيأس) نفسه المجنون، بملابسه وحذائه، يا للنساء! امرأة تأتي لنا بالفيلم، وامرأة تضيع لنا المؤلف! (يجري صائحًا) النجدة! أنجدوه! الحقوه!

(ستار)

الفصل الثاني

(مستشفى، حجرة خاصة فاخرة، بها سرير يرقد عليه «فكري»، وحوله مقاعد وثيرة، وعلى منضدةٍ بقربه آنية بها باقة زهر كبيرة، الطبيب يقف إلى جانبه يفحص نبضه.)

الطبيب (يترك معصمه): الحمد الله، كل شيء على ما يرام، لا يلزمك غير قليل من الراحة، غدًا أو بعد غد على الأكثر تستطيع أن تغادر فراشك في صحةٍ تامة!

فكري: أشعر «بموعان» نفس.

الطبيب: من ماء البحر المالح الذي ابتلعته، لقد أفرغنا من معدتك ما يملأ قربة!

فكري: أعوذ بالله!

الطبيب: كان بينك وبين الغرق لحظات، لولا أن هيأ الله لك من أنقذ حياتك في الوقت المناسب.

فكري: إني لا أذكر شيئًا مما حدث، سوى أني صرت «أهبش وأطبش» في الماء، إلى أن وجدت نفسي أهوي على الرغم مني نحو القاع، ولم أفق بعدئذٍ إلا هنا في المستشفى.

الطبيب: لماذا ألقيت بنفسك في البحر يا أستاذ؟! أنت الرجل المتزن …

فكري: قلة عقل! هنالك لحظة يفقد فيها الإنسان اتزانه أمام إحساس حماسٍ فارغ!

الطبيب: حصل خير، ما دامت النهاية خيرًا، كل ما نرجو هو ألا تعود إلى هذه الفكرة!

فكري: أأنا مجنون؟! بعد أن رأيت الموت بعيني، ووضعت رجلي في قبري؟ نحن على الشط نظن البحر في صفائه وزرقته شيئًا هينًا، وإذا هو الموت الأزرق، أنا أضع فيه قدمي مرةً أخرى؟ ولو رأيته ابتلع «بلاج سيدي بشر» بما عليه من جميع النساء!

الطبيب: نعم، تسرني منك الآن هذه الحالة النفسية، كن دائمًا متفائلًا، متشبثًا بالحياة، وأبعد عن رأسك على قدر الإمكان كل فكرة قاتمة سوداء، تدفعك إلى الانقباض واليأس!

(يسمع طرق على باب الحجرة، ثم يظهر «التمرجي»، الممرض.)

الممرض: النيابة، البك وكيل النيابة!
الطبيب (بسرعة)**:** فليتفضل، يتفضل.

(وكيل النيابة وهو داخل خلف الممرض ومعه كاتب التحقيق)

الطبيب: ممكن الآن يا «دكتور» استجواب المصاب؟! ممكن الآن، ممكن جدًّا، تفضلوا، إنه الآن بخير، أتركه بين أيديكم، اسمحوا لي أنا أمر على بقية المرضى!

(يخرج الطبيب وخلفه الممرض، ويبقى في الحجرة وكيل النيابة وكاتب التحقيق.)

فكري (يشير إليهما بالجلوس)**:** النيابة تقصدني أنا؟ ما الذي حدث؟ لا سمح الله؟!
وكيل النيابة: جناية!
فكري: حدثت جناية؟!
وكيل النيابة: ما حدث يعتبر في نظر القانون جناية، تنتقل لتحقيقها النيابة العمومية.
فكري: يا حفيظ!
وكيل النيابة: الانتحار والشروع فيه دائمًا جناية!
فكري: وأنا المسئول؟!
وكيل النيابة: طبعًا! (لكاتب التحقيق) افتح المحضر، الاسم والصناعة والسن، وكل البيانات موجودة في بطاقة المستشفى!
فكري: محضر؟!
وكيل النيابة (لفكري)**:** قل لنا يا أستاذ! هل أنت مصاب بمرض عصبي؟
فكري (في دهشة)**:** لا!
وكيل النيابة: هل تشكو أحيانًا من الأرق؟!
فكري: الأرق؟ بالعكس، إنَّ أبرع شيء أصنعه في الوجود النوم.

وكيل النيابة: هل تنتابك حالات نفسية، تسأم فيها حياتك وعملك ومن يحيط بك؟

فكري: أحيانًا أجد عملي سخيفًا، وأرى من يحيط بي من أصناف الناس في مستوى ذهني يجعلني أشمئز من نفسي.

وكيل النيابة: وهذا الاشمئزاز يوحي إليك أحيانًا بأن تهرب من هذه الدنيا؟

فكري: أهرب منها إلى أين؟

وكيل النيابة: إلى عالم آخر أفضل مثلًا.

فكري: ولا أحسنها، وإذا كنت لم أستطع أن أهرب من رواية السينما، هل أستطيع أن أهرب من رواية الدنيا؟!

وكيل النيابة: ما الذي دفعك إذن إلى إلقاء نفسك في البحر؟!

فكري: المروءة والإنسانية!

وكيل النيابة: ماذا تعني؟ أفصح!

فكري: هذه المثالية التي ترقد في نفوسنا، تتغذى من معتقداتنا ومبادئنا ومطالعاتنا، تستيقظ فجأةً، لتقوم بعمل غير إرادي، قبل أن يفكر العقل في نتائجه أو يتبصر عواقبه!

وكيل النيابة: بلا شك، رجل له مثل عملك وثقافتك، لن يكون باعثه طبعًا ضيق ذات اليد، أو السقوط في الامتحان، أو حب بنت الجيران، بل هذا النوع الفلسفي من المثالية التي يمكن أن تدفعك إلى ارتكاب هذا الفعل؟!

فكري: ارتكاب هذا الفعل؟!

وكيل النيابة: غير الإرادي، قام في نفسك فجأةً أن تلقي بنفسك في البحر، لماذا؟ لا تدري؟ فنفذت هذا الخاطر المفاجئ في الحال، وألقيت بنفسك في البحر، بدون سبب!

فكري: بدون سبب؟! أمجنون أنا؟! أيوجد إنسان يلقي نفسه في البحر بدون سبب؟

وكيل النيابة: ألم تقل ذلك الآن؟

فكري: أنا قلت إني رميت نفسي بدون سبب؟!

وكيل النيابة: معذرة، أنا فهمت خطأً إذن، كان هناك سبب؟

فكري: طبعًا، كل شيء له سبب.

وكيل النيابة: ما هو إذن السبب؟

فكري: هذه المرأة، لعنة الله عليها!

وكيل النيابة: دائمًا فتش عن المرأة! لماذا لم تذكر لنا ذلك من أول الأمر؟

فكري: هذا شيء معروف!

وكيل النيابة: معروف عندك، ولكننا لم نعرف بعدُ شيئًا عن حياتك الخاصة.

فكري: ألم تعرفوا أني ألقيت نفسي من أجل هذه المرأة؟!

وكيل النيابة: معقول أن تلقي بنفسك من أجل امرأة! (يلتفت إلى كاتب التحقيق الذي يدون المحضر) أثبِتْ هذا، (يعود فيلتفت إلى المؤلف) وما اسم هذه المرأة؟

فكري: لا أعرف اسمها.

وكيل النيابة (في دهشة)**:** لا تعرف اسمها؟! وكيف كانت بينكما العلاقة إذن؟

فكري: لم تكن بيننا أي علاقة.

وكيل النيابة: وكنت تحبها، بدون أن تعرف اسمها، وبدون أن تكون بينكما علاقة؟!

فكري: أحبها؟! ومن قال إني كنت أحبها؟!

وكيل النيابة: ألم تكن تحبها؟!

فكري: أبدًا!

وكيل النيابة: وتلقي بنفسك في البحر من أجل امرأة لا تحبها؟!

فكري: شيء عجيب يا حضرة النائب، اسمح لي أن أندهش، ألا بد أن يكون هناك حب وغرام كي نقوم بهذا العمل؟!

وكيل النيابة: أظن هذا هو الطبيعي!

فكري: طبيعي أن نرى شخصًا يغرق أو يحرق أو يدوسه قطار، فلا نمد له يد المعونة إلا إذا كانت تربطنا به معرفة أو عشق أو محبة أو استلطاف؟

وكيل النيابة: هذه مسألة أخرى! نحن هنا أمام حادث انتحار.

فكري: من باب أولى، لو رأينا شخصًا ينتحر ألا نبادر إلى إنقاذه، دون أن نشترط المعرفة والحب والهيام؟!

وكيل النيابة: طبعًا نبادر إلى إنقاذه بدون قيد ولا شرط.

فكري: هذا هو الذي حصل!

وكيل النيابة: بالضبط، هذا هو الذي حصل من الشخص الذي أنقذك من الانتحار.

فكري (بدهشة)**:** أنقذني من الانتحار؟! أأنا انتحرت؟

وكيل النيابة: شرعت في الانتحار، ولم تتم الجريمة لسبب خارج عن إرادتك، وهو إنقاذك في الوقت المناسب.

فكري: ما هذا الكلام؟ أنا شرعت في الانتحار؟! لماذا؟

وكيل النيابة: هذا هو الذي نريد أن نعرفه منك، والذي من أجله نجري هذا التحقيق.

فكري: انتحرت؟!

وكيل النيابة: تذكر جيدًا، وربما كانت الصدمة وحالتك الصحية بعدها قد أثرتا في ذاكرتك.

فكري (كالمخاطب نفسه): انتحرت؟! أنا؟ لماذا أنتحر؟ لتفاهة القصة التي أؤلفها؟! جائز، ولكن، لو كان كل مؤلف ينتحر لهذا السبب لارتفع مستوى التأليف بشكل مخيف!

وكيل النيابة: اقدح زناد فكرك وارجع بذهنك إلى ما قبل الحادث، وتذكر السبب الذي حدا بك إلى إلقاء نفسك في البحر.

فكري: هذا السبب معروف، لا يحتاج إلى قدح زناد فكر، قلت لحضرتك إني ألقيت بنفسي خلف هذه المرأة.

وكيل النيابة: عدنا إلى هذه المرأة؟!

فكري: ضروري لأنها هي أصل الكارثة، ولولاها لما كنت الآن في هذا المستشفى، هي كل السبب.

وكيل النيابة: في انتحارك؟

فكري: قلت لحضرتك إني لم أنتحر، إني واثق، وأقسم لك.

وكيل النيابة: تذكر!

فكري: متذكر تمامًا، رأسي بخير، ولم أفقد الوعي، لا يوجد عندي سبب للانتحار، ولكنها هذه المرأة، اسألوها هي عن سبب الانتحار!

وكيل النيابة: سبب انتحارك؟

فكري: سبب انتحارها هي!

وكيل النيابة: ما هذا الخلط؟!

فكري: لا يوجد خلط، هي التي انتحرت، وهي تُسأل عن السبب، أما أنا فكل ما أعرفه هو أني ألقيت بنفسي خلفها لأنقذها بدافع المروءة والإنسانية!

وكيل النيابة: ولكن الوقائع تكذب ذلك!

فكري: أي وقائع؟!

وكيل النيابة: ما حدث في الواقع هو أن هذه المرأة هي التي أنقذتك من الموت المحقق، وقررت أن عملك كان انتحارًا.

فكري: وهي؟ ألم تنتحر؟

وكيل النيابة: لا.

فكري: ألم تقذف بنفسها من فوق الصخرة، ويبتلعها الماء، ولا يظهر لها أثر.

وكيل النيابة: ثبت أنها سباحة ماهرة، مشتركة في كثير من نوادي المدينة الرياضية، وأنها كانت تقوم بتمرينها اليومي من فوق الصخرة، وأنها تجيد الغوص والعوم تحت الماء!

فكري (كالمخاطب نفسه في عجب)**:** شيء لطيف!

وكيل النيابة: كما ثبت من أقوالها ومن القرائن أنك لا تحسن السباحة، وأنك ألقيت بنفسك في البحر بملابسك العادية!

فكري: من لهفتي عليها، داهية تلهفها!

وكيل النيابة: لا داعي أن تصر على الإنكار يا أستاذ، الحادثة واضحة كالشمس، المنتحر بالغرق لا يمكن أن يكون تلك السباحة البارعة التي ترتدي «المايوه»، ولكنه ذلك «الغشيم» الذي يلقي نفسه «ببنطلونه» وحذائه! ألا ترى هذا هو المعقول؟

فكري: معقول!

وكيل النيابة: أمام هذه الأدلة الدامغة ما قولك؟

فكري: أمري إلى الله!

وكيل النيابة (يتنفس الصعداء)**:** وضح لنا إذن كيف نبتت في رأسك فكرة الانتحار؟!

فكري: الانتحار؟ إني لم أفكر في الانتحار!

وكيل النيابة (يائسًا)**:** وبعدها معك يا أستاذ؟

فكري: أتريد أن أقرر شيئًا لم يحدث؟!

وكيل النيابة: وماذا يمكن أن نسمي هذا الذي حدث؟ بماذا نكيفه التكييف القانوني؟! بل بماذا نصفه باللغة العادية؟ شخص يلقي نفسه في البحر بملابسه، لغرض مجهول، يخفيه وراء سبب ثبت بالدليل بطلانه، ماذا نسمي تصرف هذا الشخص؟!

فكري: حقًّا، تصرف جنوني.

وكيل النيابة: شأن كل انتحار، ما الانتحار إلا تصرف جنوني.

فكري: ولكني لم أنتحر!

وكيل النيابة (يتنهد إعياءً)**:** لماذا تتعبنا هكذا يا أستاذ؟! أيسرك أن تضعنا في هذه الحالة من التعب والحيرة بدون مقتضٍ؟!

فكري: متأسف، إني أريد راحتكم، ماذا تحب أن أصنع لأريحكم؟!

وكيل النيابة: أن تكف عن هذا الإنكار، الحادثة ظاهرة، والمسألة بسيطة، ولا توجد هناك أدنى عقوبة.

فكري: لا توجد عقوبة! ولماذا كل هذا التحقيق؟

وكيل النيابة: مجرد إجراء قانوني، يحفظ بعده المحضر! ولا يطلع على ما فيه أحد.

فكري: إذن ما الداعي إلى إطالة «السين والجيم»؟ فلننهِ الموضوع ولا حاجة إلى إضاعة وقتكم، أسيلحق بي شيء إذا قلت إني انتحرت؟ انتحرت انتحرت، اكتب عندك أني انتحرت.

وكيل النيابة (يملي كاتب التحقيق): «اعترَف.»

فكري: انتهينا!

وكيل النيابة: سؤال واحد بسيط.

فكري: تفضل!

وكيل النيابة: ما هي أسباب انتحارك؟

فكري (صائحًا): سبحان الله! إذا قلت لم أنتحر، تقول لي أتعبتني، إذا أرحتك وقلت انتحرت، تقول لي ما هي الأسباب؟ إذا قلت الأسباب، تقول لي غير معقولة! احترت يا ناس، واحتار فؤادي! لكن الذنب ذنبي، أنا الذي أستحق! أنا الذي لم أسمع الكلام، وجيت أضع نفسي بقدمي وحذائي في هذه الورطة!

وكيل النيابة: هدئ أعصابك يا أستاذ، الحكاية في غاية البساطة، لقد ذكرت الآن في المحضر أنك انتحرت، أليس المنطق يقضي أن تذكر أيضًا السبب؟

فكري: وما هو السبب؟ السبب المنطقي عندكم؟ السبب الذي ترونه أنتم معقولًا؟! ضيق ذات اليد؟ ولكن جيبي فيه عدة مئات من الجنيهات ثمن القصة! سقوط الرواية؟ ولكن «الفيلم» لم يظهر بعد؟ حب بنت الجيران؟ أين هم الجيران؟ (يلتفت حوله) على ماذا تطل هذه النافذة من فضلك؟

وكيل النيابة (ملتفتًا جهة النافذة): من يدري؟ ربما على قاعة المشرحة!

فكري: أحب جثة؟! يرضيكم هذا؟!

وكيل النيابة (باسمًا): ألا يكون حب بين الجيران؟! الحب في كل مكان، ويكفينا منك في المحضر أن تقول إنك انتحرت بسبب الحب، ولن نخوض بعدئذٍ مطلقًا في التفاصيل.

فكري: وننتهي؟!

وكيل النيابة: في الحال.

فكري: انتحرت بسبب الحب!

وكيل النيابة: متشكر!

فكري: العفو!

(وكيل النيابة ينهض، وينهض كاتب التحقيق ويقدم المحضر إلى «فكري» ليوقع على أقواله.)

كاتب التحقيق: أزعجناك يا أستاذ، لكن لك الآن أن تستريح، ونرجو لك دوام الصحة، وألا تفكر أبدًا بعد اليوم في الانتحار، لأي سبب، حتى ولو كان الحب.

(يصافح المؤلف ويتحرك خارجًا.)

كاتب التحقيق (لوكيل النيابة وهو خارج خلفه)**:** أذكر سعادتك بالقضية الأخرى في الجناح الآخر!

(يخرجان، ويتركان «فكري» في سريره، يرسل إلى الفضاء نظرات شاردة حالمة.)

فكري (يصيح فجأةً ثائرًا)**:** الحب! أنا؟ أنا أنتحر بسبب الحب؟! لكن حصل، وأمضيت ووقعت وختمت في أوراق رسمية، انتحرت بسبب ... الحب!

(تدخل عندئذٍ فجأةً امرأة شابة هيفاء رشيقة في نحو السادسة والعشرين، تحمل لفةً بها أزهار، وتتجه إلى الزهرية، فتطرح عنها أزهارها القديمة، لتضع مكانها الأزهار الجديدة التي أتت بها، كل ذلك دون أن تلتفت إلى «فكري» وكأنه غير موجود في المكان.)

المرأة (وكأنها تخاطب نفسها)**:** انتحار خفيف الروح!
فكري (في دهشة من أمرها من ساعة دخولها)**:** خفيف الروح؟!
المرأة: الانتحار بسبب الحب.
فكري: من حضرتك؟
المرأة (تلتفت إليه بكل هدوء)**:** ألا تعرفني؟
فكري: لم يحصل لي هذا الشرف!
المرأة: هذا الشرف حصل!
فكري: أين ذلك؟
المرأة (بهدوء تام)**:** في قاع البحر.
فكري: في قاع البحر؟!

المرأة: ألا تذكر؟! كنت أنت في منتهى اللياقة والوقار، ترتدي ملابسك، حتى الحذاء، والكرافتة الحرير، ولم يكن ينقصك غير الطربوش، أو العصا أو المنشة أو المسبحة، بالطبع كنت ذاهبًا إلى موعد هام.

فكري: هام جدًّا، هكذا خيل لي!

المرأة: لست أدري لماذا لم تحمل معك أيضًا باقةً كبيرة من الأزهار؟!

فكري: لم يكن عندي الوقت!

المرأة: إن المرأة تحب دائمًا منظر الزهر، سواء أكانت في الدنيا أم في الآخرة، تلك التي ألقيت نفسك في البحر من أجلها كانت ميتةً أو هي حية؟

فكري: لم تكن هذا ولا ذاك.

المرأة: كانت مشرفةً على الموت؟

فكري: هكذا خيل لي.

المرأة: وأردت أنت أن تذهب معها، أو تسبقها بلحظات إلى العالم الآخر؛ لتكون هناك في شرف استقبالها!

فكري: لم أفكر في شرف، ولا في استقبال، ولا في أن أذهب معها أو أسبقها، كل ما فكرت فيه وقتئذٍ هو أن أمنعها من الذهاب.

المرأة: بهذه الطريقة كنت ستمنعها؟!

فكري: هكذا خيل لي.

المرأة: خيالك واسع جدًّا يا أستاذ!

فكري: هذه مصيبتي!

المرأة: بالعكس، هذا شيء بديع، لا أريد التدخل في شئونك وأسرارك، ولكني أريد أن تعرف شيئًا، لقد انتظرت حتى تسترد صحتك لأخبرك به، عندما أنقذتك لم أكن أعرف من أنت، فلما عرفت شخصيتك، وأيقنت أن مثلك لا يقدم على هذا الفعل إلا بدافع عاطفي شعري، منبعه الحب الرفيع الذي يصوره دائمًا في تأليفه، تملكني الأسف والندم!

فكري: الأسف والندم على ماذا؟

المرأة: على تحطيمي هذا التدبير الرائع! هذه الموتة الشعرية التي كان يجب أن تكون خاتمة حياة مثل حياتك!

فكري: ماذا تقولين؟!

المرأة: ثق بأني آسفة ونادمة على تدخلي!

فكري: نادمة على تدخلك؟! أوكنتِ تريدين أن تتركيني في قعر البحر ليأكلني السمك؟!

المرأة: لستَ إذن ساخطًا عليَّ ولا غاضبًا؟!

فكري: من هذه الجهة لا، قطعًا.

المرأة: وهي؟ ... هي لا بد أن تكون غاضبة ساخطة، كان يسرها بالطبع أن يتم الأمر وأن تموت من أجلها؟!

فكري: يسرها أن أموت من أجلها؟!

المرأة: طبيعي، إني أضع نفسي في مكانها، وأتصور مقدار سعادتي لو مات من أجلي رجل، وأي رجل؟ رجل ممتاز، متقد العاطفة، مرهف الإحساس!

فكري: يسرك موتي؟!

المرأة: يسر كل امرأة!

فكري: اللهم لطفك!

المرأة (مستمرة): لأنه دليل الحب، ذلك الحب الملتهب، العنيف، العميق، أكانت هذه المرأة تستحق منك كل هذه التضحية؟!

فكري: من هي؟

المرأة: تلك التي ألقيت بنفسك في البحر من أجلها!

فكري: أكنت أعرف إذا كانت تستحق أو لا تستحق؟! أمن الواجب أيضًا أن نبحث ونتحرى في مثل هذه المواقف عن مؤهلاتها؟!

المرأة: حقًّا، إنه قدر، ومسائل القلب لا تخضع لبحث أو فكر، إني على كل حال أغبطها، هذه المرأة، كيف هي؟ صف لي شكلها.

فكري: انظري في المرآة وأنت ترينها!

المرأة: أهي تشبهني إلى هذا الحد؟!

فكري (في نبرة تهكم): أظن!

المرأة (وهي تتأمل نفسها أمام مرآة في الحجرة): يعجبك إذن هذا الشكل!

فكري: أعجبَ بعضهم، وقارَنَه بقوام ممثلة أمريكية.

المرأة: وأنت؟

فكري: أنا شخصيًّا، (يتأملها) لا أفهم كثيرًا في مسألة الشكل.

المرأة: تهمك الروح؟

فكري (في تهكم خفي): إذا وجدت!

المرأة: وما الذي كنت تحبه فيها إذن؟

فكري: فيمن؟

المرأة: في تلك التي ألقيتَ بنفسك في البحر من أجلها؟!

فكري: لم أحب فيها شيئًا!

المرأة (بدهشة): وتموت بسببها؟!

فكري: يا ناس! أهذا شيء عجيب إلى هذا الحد؟! ألا يحدث أن يموت الإنسان بسبب آنية زرعٍ سقطت على رأسه من الطابق الخامس وهو سائر في الطريق؟! أمن الضروري أن يكونَ قد أحب الآنية، أو عشق ما فيها من زرع أو طين أو رمل؟!

المرأة: لست أفهم!

فكري: لا أريد أن تفهمي أكثر من ذلك، لئلَّا يخيب ظنك!

المرأة: ألم تنتحر إذن من أجل الحب؟!

فكري: لم أنتحر، (يتذكر) بل انتحرت.

المرأة: انتحرت أو لم تنتحر؟!

فكري: لا أدري.

المرأة: لا تدري؟! أهذا أمر يمكن أن تجهله؟!

فكري: هناك قولان، قول حسب معلوماتي الشخصية، وقول حسب الثابت في الأوراق الرسمية!

المرأة: وما هو القول الأصح؟!

فكري: الله أعلم!

المرأة: أرى جيدًا بمثل هذه الأجوبة أنك لا تحب أن أكلمك في شأنك، الحق معك، أنت لا تعرفني، ولكني أنا أعرفك، وأعرف طريقة حياتك التي تحتاج إلى عناية، ألا ترى أنك بخروجك من الماء قد كتب لك عمر جديد؟ هذا العمر الجديد أود أنا أن أحرص عليه، وأتعهده؛ لأنك لم تستطع المحافظة على عمرك القديم!

فكري: حقًّا، أضعته بحماقة، في لحظة طارئة، بدون مناسبة!

المرأة: أرأيت؟ إنك غير مؤتمن على حياتك! ولا يمكن أن نتركها بعد اليوم بين يدي شخص …

فكري: قاصر!

المرأة: لا، لا أريد أن أقول ذلك بالضبط.

فكري: غير رشيد!

المرأة: بل غير ملتفت إلى نفسه، شارد في خياله، سابح في ملكوت! لا بد لمثلك من وصي!

فكري: وهذا الوصي هو ... حضرتك!

المرأة: أنا أولى من غيري!

فكري: مستنداتك!

المرأة: أولًا، أنا التي انتشلتك من قاع البحر، وبهذا أصبحتَ شيئًا يخصني!

فكري: هكذا بوضع اليد؟!

المرأة: حقي، افرض أن شركةً انتشلت سفينةً من قاع البحر، ألا تصبح هذه السفينة ملكها؟!

فكري: كلام معقول! (يتنبه للأمر فيصيح) يا للمصيبة! أصبح ملكك؟! يعملها القانون، ويحكم لك بملكيتي! لم أعد أستبعد شيئًا الآن!

المرأة: اطمئن، لن ألجأ إلى المحاكم.

فكري: نعم، أرجوك، أبعدينا عن المحاكم والنيابة والجهات الرسمية!

المرأة: لا حاجة بي إلى هذا، إني معتادة أن أحل دائمًا قضاياي بنفسي.

فكري: خيرًا فعلت!

المرأة: لقد نشأت هنا في الإسكندرية، قرب البحر، مشبعةً من صغري بالروح الرياضية، ولي نظرة في الحياة، قد تصدم خيالك!

فكري: لماذا؟

المرأة: لأني أحب دائمًا أن أسير في خطٍّ مستقيم، إلى الأمام.

فكري: إلى آخر محطة، مفهوم، مسألة السير هذه، عندنا بها خبر.

المرأة (غير فاهمة مرماه)**:** ماذا تقول؟

فكري: استمري.

المرأة: أحب المواجهة والإصرار، وأكره الالتواء والتردد، إذا أبغضتك قلت ذلك في وجهك، وإذا أحببتك رأيت ذلك في وجهي، هدفي لا بد أن أبلغه ولو بعد جهد وكد، وما أريد لا بد أن أناله ولو قسرًا وقهرًا، يكفي أن أقرر لأنال، ويكفي أن أخطو لأصل.

فكري (في قلق)**:** لا شك عندنا في ذلك أبدًا.

المرأة: من ذلك تدرك مقدار نجاحي في كل ما يهمني من مسائل.

فكري (بتردد): وفي مسألتك هذه؟ خطوت؟
المرأة: بالطبع، خطوات.
فكري (صائحًا في يأس): انتهينا! «رحنا بلاش»!

(تسمع دقة على الباب، ثم يفتح ويظهر «جلال» مندفعًا.)

جلال: ما هذه الإشاعة التي تملأ البلد؟
فكري: أي إشاعة؟
جلال (يرى المرأة فيهتف): «إستر وليامز»!
فكري (مبادرًا بتقديم جلال): حضرته المخرج السينمائي المعروف، «الأستاذ جلال أنسي»، لا شك في أنك سمعت باسمه، وعرفت نشاطه الفني في السينما والمسرح!
المرأة (بلهجة مجاملة): طبعًا!
فكري: حضرته رآك مرة على الكورنيش، ومن يومها وهو ... (يريد أن يشير إلى قدمه.)
جلال (يغمزه ليسكت): شُفيت، شُفينا مما جرى لنا، كلنا ولله الحمد بخير الآن!
فكري: من يومها وهو يسميك «إستر وليامز»!
المرأة (للمخرج): لماذا؟ هل رأيتني وأنا أسبح؟
فكري: رآك أولًا وأنت تسيرين من «بولكلي» إلى «المكس»!
المرأة: تمريني اليومي في السير على الأقدام!
جلال (فاغرًا فاه): تمرين يومي، كل يوم تسيرين، هكذا، هذا «المشوار»؟
المرأة: منذ عشر سنوات، منذ أن كنت في السادسة عشرة.
جلال: بسم الله ما شاء الله!
المرأة: ومن قال إني ذهبت إلى «المكس»، إني أمس اتجهت قليلًا في شارعه لأشتري شيئًا، ثم عدت بالأتوبيس!
فكري: إنه لم يستطع أن يتبعك إلا إلى ميدان «محمد علي»، ثم خر مغشيًّا عليه.
المرأة (في جد): ولماذا يتبعني؟
جلال (في ارتباك): كان ذلك ... بالمصادفة.
فكري: إنه يتمنى لو قبلتِ العمل في السينما!
المرأة: ليس عندي أي استعداد للفن، ولست من هواة ذلك على الإطلاق.

جلال: خسارة، خسارة كبيرة، (لفكري) أقنعها، اكتب لها دورًا، ضعها في الإطار الذي يروق لها، دعها تعيش في الجو الذي يناسب مزاجها، اجعلها تسبح في البحر.

فكري (في ارتياع)**:** البحر، ألم نتب بعدُ من البحر وما جرى لنا منه؟!

جلال: على ذكر البحر، الإشاعة قوية في البلد أنك انتحرت.

فكري: سمعت ممن هذا؟

جلال: من الناس، كل من قابلني يقول لي ألا تدري؟ الأستاذ فكري انتحر، ألقى بنفسه في البحر، في «بلاج سيدي بشر»!

فكري: وأنت ماذا كان جوابك لهؤلاء؟

جلال: كنت أقول لهم انتظروا حتى أتحرى الحقيقة.

فكري: تتحرى الحقيقة؟ ممن؟

جلال: منك طبعًا، ما هي الحكاية؟

فكري: أي حكاية؟

جلال: انتحارك؟ لماذا انتحرت؟

فكري: أنا انتحرت؟

جلال: والإشاعة؟

فكري (صائحًا)**:** الإشاعة! أتصدق الإشاعة، وتكذب ما رأيته أنت بعينيك؟! ألم تكن معي ساعة الحادث الملعون؟! ألسنا «دافنينه سوا»؟! ألست أنت الذي وجهت نظري إليها صائحًا: ابتلعها الماء! فصدقت أنا وهرعت لإنقاذها؟ حصل كل هذا أمام نظرك أو لم يحصل؟

جلال: حصل طبعًا.

فكري: بعد ذلك تتحرى مني عمَّا إذا كنت انتحرت؟ وتسألني عن أصل الحكاية؟

جلال: كلام الناس، ماذا أصنع أمام كلام الناس؟ قالوا كلهم انتحر من أجل امرأة.

فكري: وتسمع هذا وتقبله؟ أنت شاهد الرؤية، أنت العالم ببواطن الأمور، أنت الأصل والفصل؟

جلال: أقول لك الحق، الإشاعة «لخبطت» عقلي.

فكري (صائحًا)**:** وما قيمة الحقائق إذن في هذه الدنيا يا خلق الله! إذا كانت تنهار هكذا أمام الأكاذيب! فلأتبع أنا أيضًا الأكذوبة، ولأسر معك خلف الإشاعة، انتحرت يا سيدي، انتحرت، من أجل امرأة! فقط، ابحث لي عن هذه المرأة من فضلك!

جلال: أنا الذي سأبحث عنها؟

فكري: يجب أن تكون موجودة، ما دمنا انتحرنا من أجلها، أين هي؟
جلال: من هي؟
فكري: تلك التي ألقيت بنفسي في البحر من أجلها؟!
جلال (بدون تفكير يشير إلى المرأة)**:** أليست حضرتها؟
المرأة (في دهشة)**:** حضرتي!
جلال: طبعًا، ألا تعرفين؟
المرأة: أعرف ماذا؟
جلال: ما حصل، عندما وقفت فوق الصخرة، وألقيت بنفسك في الماء وغصت فيه، حسبنا نحن أنك تنتحرين، فاندفع حضرته بكل شهامة إلى البحر لينقذك!
المرأة (في دهشة)**:** ينقذني أنا؟!
جلال: ألم يخبرك بكل هذا؟
المرأة: لا! (تلتفت إلى فكري) لماذا لم تخبرني؟
فكري: أخبرك بهذا الشيء السخيف، رجل لا يحسن العوم يذهب لإنقاذ أمهر سباحة من الغرق! مثله مثل ذلك الذي يذهب ليبيع الماء في حارة «السقايين»! الحق أن الأكذوبة أصدق منطقًا، والإشاعة أجمل مظهرًا، ألقى بنفسه منتحرًا من أجل الحب، معقول! مقبول!

(يُفتح الباب فجأةً، وتظهر «ميمي كمال» داخلةً مندفعة، وقد وضعت ذراعها اليسرى في الجبس وربطت برباط صحي.)

ميمي (بلهفة)**:** لم أعلم إلا الآن يا أستاذ!
فكري: تعلمين بماذا؟
ميمي: خبر انتحارك.
فكري (وهو يتنهد)**:** قسمتي!
ميمي: الحمد لله على سلامتك، الحقيقة أننا لم نفهمك، حسبناك جامد العواطف!
فكري: كما ترون، انتحرت من أجل الحب!
ميمي: لم تتحمل صدمته!
فكري (يمثل الرقة والضعف تمثيلًا غير متقن)**:** أبدًا، انهار قلبي الرقيق وإحساسي المرهف أمام لمسة الحب، وتفتتت كبدي المقروحة كما يتفتت كعك العيد الناعم عند لمسة الفم، وتبخرت عصارة روحي تحت أنفاس الحب الملتهبة، كما تتبخر مياه البحر تحت

أشعة الشمس المحرقة، الحب حطم حياتي وجعلها كالحصى الذي تفرش به الأرصفة، الحب طحن حياتي وعجنها وخبزها كالدقيق الذي تصنع منه الأرغفة، آه، الحب، الحب، الحب ...

ميمي: مسكين! ومن هي السعيدة التي ... صدمت بك كل هذا؟!

فكري (بدون تفكير ولا انتباه)**:** جاري البحث عنها!

ميمي (لم تفهم قصده)**:** ماذا تقول؟

فكري (يعود إلى تمثيله)**:** آه، لا تسأليني ولا تذكريني، لا تعذبوا روحي ولا تحركوا جراحي! دعوني أعش هذه اللحظات في جو الحب، هذا الحب الذي بلا حبيب، ألا بد من وجود الحبيب أولًا حتى يوجد الحب؟! ما الذي يوجد قبل الآخر؛ الحب أو المحبوب؟ البيضة أو الدجاجة؟ الكتكوت قبل البيضة، أو البيضة قبل الكتكوت؟!

(ميمي تلتفت إلى «جلال» بنظرات متسائلة عن معنى ما تسمع؟!)

جلال (لفكري)**:** لا تتكلم كثيرًا، مراعاةً لحالتك!

فكري: معك حق، (لميمي) أخبريني أنت، ما هذا الرباط الجبس حول ذراعك؟!

ميمي: اسكت يا أستاذ، هذه حكاية فظيعة، ألا تعرف أني نازلة هنا في المستشفى منذ أمس، في الجناح الآخر؟

جلال (بسرعة)**:** بلغني الموضوع يا «ميمي»، وكنت على وشك زيارتك.

فكري: ما الذي حدث؟

ميمي: الوحش، البهيم، الحيوان «أبو النجف»! ما شعرت أمس إلا وهو داخل عليَّ في حجرتي بالفندق وفي يده خشبة.

(فكري لا يتمالك نفسه ويضحك.)

ميمي: تضحك؟!

فكري (يملك نفسه)**:** احكي، ضربك؟

ميمي: وأي ضرب؟ كسر لي ذراعي، كما ترى والنيابة أخذت اليوم أقوالي، وفحصني الطبيب الشرعي وقال من الجائز تتخلف لي عاهة مستديمة.

فكري: يا ساتر! وأين «أبو النجف»؟

ميمي: أظن وكيل النيابة قبض عليه!

فكري: حكاية جامدة!
جلال: جدًّا، تتخلف لك عاهة؟! والفيلم؟!
ميمي (للمخرج)**:** أكل ما يهمك هو «الفيلم»؟!
جلال (خجلًا)**:** قصدي …
ميمي: أي فيلم بعد الذي حصل؟ حتى وإن عادت ذراعي إلى حالتها الأولى، هل تظن في إمكاني أن أنظر في هذا الجلف بعد اليوم؟ أو أعمل له في فيلم؟! ولو أعطاني ثقلي ذهبًا؟!
فكري: معقول!
جلال: معنى هذا أن العمل في الفيلم قد توقف نهائيًّا!
فكري: نكبة كبرى! أليس كذلك؟ سيتوقف معها دوران الكون! لأن دوران الكون عندك متصل بدوران «الكاميرا»!
ميمي: فليُدِر «الأستاذ جلال» وهذا الرجل الحيوان الكاميرا أو الكون، كما يحبان، ولكن بدوني!
جلال (بلهجة شك)**:** بدونك؟!
ميمي: النجوم كثيرة، مثل التراب، في كل مكان تعثر قدمك بنجمة! (تنظر إلى المرأة من فوق لتحت، فتشيح المرأة بوجهها عنها.)

(يطرق باب الحجرة طرقة واحدة شديدة، ويفتح الباب ويظهر «أبو النجف» وهو يقول …)

أبو النجف (وهو داخل)**:** سلامتك يا أستاذ، لم أعلم والله إلا الساعة.
ميمي (تتحرك في الحال)**:** أورفوار يا أستاذ!

(تخرج بسرعة، قبل أن يتبين «أبو النجف» وجودها، وقبل أن يتمكن أحد من استمهالها.)

أبو النجف (يتنبه إليها وهي خارجة بسرعة)**:** ميمي … ميمي … الله يجازي الشيطان!
فكري: سمعنا أنهم قبضوا عليك!
أبو النجف: أفرجوا عني بكفالة!
فكري: نرجو أن تكون العاقبة سليمة!
جلال: لو أن الإصابة خدش بسيط، لكن مع الأسف!

أبو النجف: قل للأستاذ، أليست مشورته؟ أليس الذي حصل هو من تحت رأس نصيحته؟! ألم تكن أنت حاضرًا وسامعًا وشاهدًا يا حضرة المخرج؟! قرش صاغ! ثمن مفتاح قلب المرأة المغلق، قرش صاغ واحد ثمن عصًا، سمعنا الكلام، واستوعبنا الحكمة، وذهبنا إليها بالعصا، وإليكم النتيجة!

فكري: أقلت لك اكسر ذراعها، وسبب لها عاهةً مستديمة؟!

أبو النجف: ساعة القدر يعمى البصر، وعند الضرب لا يدري الإنسان أين تقع الضربة؟!

فكري: المهم تطلع أنت براءة، أو يحكم عليك بغرامة.

جلال: والتعويض؟ انظر كم تقدر المحكمة ذراع النجمة؟

أبو النجف: ذراع النجمة أو ذيل النجمة! هذا الفيلم أراني نجوم الظهر والسلام!

جلال: وما ذنب الفيلم؟!

أبو النجف: وما ذنبي أنا؟! أدخل باب الفن، فإذا بي أجد نفسي أمام باب السجن، مع أني دخلت شغلة الخيش، فلم أجد نفسي فيها إلا مرتديًا ثياب الأبهة والاعتبار!

جلال: ليس باب الفن الذي أوصلك إلى باب السجن، بل باب النسوان!

أبو النجف: البخت! المكتوب على الجبين تراه العيون ولو بعد حين! وأنا على كل حال داهيتي خفيفة، بالنسبة إلى داهية الأستاذ.

فكري (مأخوذًا): داهية الأستاذ؟

أبو النجف: هذا والله ما عزاني، وهون عليَّ ما دهاني، عندما بلغني أنك انتحرت من أجل امرأة، قلت في نفسي «يا سلام»! «الأستاذ فكري» كله بعقله وحصافته وفصاحته يرمي حياته كلها في البحر في سبيل الحب! وأنا أستكثر رمي نفسي في الحبس شهرًا أو شهرين أو ثلاثة!

فكري (ممثلًا): آه، صحيح، الحب يا «أبو النجف بك»، الحب …

أبو النجف: لكن حياتك أغلى.

فكري (ممثلًا): عندي أنا؟! أبدًا، أبدًا، حياتي قطعة خيش، والحب جوهرة منورة، ما قيمة حياتي لو داستها الجوهرة؟

أبو النجف (مبهورًا): شيء جميل! وهذه المرأة؟

فكري (بغير انتباه): أي امرأة؟

أبو النجف (في لهجة جدية): هذه الجوهرة المنورة التي مسحت أقدامها في خيشة حياتك!

فكري: منها لله!

أبو النجف: أين هي الآن؟

فكري: علمي علمك!

أبو النجف: يا لعواطفك السمحة يا أستاذ! تكون بهذه الإحساسات الرقيقة، ويكون الحب عندك بهذه المنزلة، وتقول أمس إن المرأة لا يلين قلبها إلا إذا لان عظمها على لحمها، فما أكاد أذهب إليها أنا بالعصا، حتى تذهب إليها أنت بروحك الطاهرة فترميها تحت قدميها، في البحر؟

فكري: الحب يا «أبو النجف بك»، الحب، انتحرت في سبيل الحب، أعيش في جو الحب، وأتنفس بأكسجين الحب، قلبي سمكة والحب هو البحر!

أبو النجف: كلام حلو، حلو، حلو ...

فكري: ألم تسمع هذا يقال عني الآن؟!

أبو النجف: الإشاعة ملء البلد.

فكري: انتحرت من أجل الحب، شيء جميل، أليس كذلك؟

أبو النجف: أجمل شيء!

فكري: لا تحسدني! أنت أيضًا ستسجن من أجل الحب!

أبو النجف: أبدًا يا أستاذ، بل من أجل العاهة المستديمة! ليتني احتملت حبي مع الصد والهجر، بدل إضاعة كل شيء في الضرب والكسر! أمَا من أمل في إصلاح الحال، (يلتفت إلى المخرج) صديقي جلال، ما رأيك؟

جلال: أنا مخرج مسرحي وسينمائي، ولست بمجبساتي ولا مجبراتي!

أبو النجف: لست أطلب رأيك في إصلاح الكسر، بل في إصلاح الحال بيني وبين «ميمي».

جلال: نحاول.

أبو النجف: هل عندك طريقة؟

جلال: أقصر طريق هو أن نذهب إليها أنا وأنت الآن، بدون تأخير، نزورها، وتعنى أنت بصحتها، وتأتي لها بأعظم الأطباء، وتكون في خدمتها!

أبو النجف: وإذا طردتني؟

جلال: ننظر في طريقة أخرى!

أبو النجف: هيا بنا، اسمح لنا يا أستاذ.

جلال (لفكري): إلى الغد.

أبو النجف (لفكري): اقرأ لنا الفاتحة.

(يصافحان «فكري»، وينحنيان برأسيهما بالتحية أمام «المرأة» ويودعها المخرج مسلمًا باليد، ثم ينصرفان تاركين «فكري» والمرأة.)

فكري (للمرأة وهو يتنفس الصعداء): أف، لا مؤاخذة، انشغلنا عنك.
المرأة (كالخارجة من حلم): حسبتني أغرق فأردت إنقاذي؟!
فكري (بدون انتباه): أين هذا؟ (يفطن) آه حقًّا، هذا ما حصل بالضبط.
المرأة: من أجلي إذن ألقيت بنفسك في الماء؟!
فكري: من أجلك أو من أجل أي شخص آخر في مكانك!
المرأة: مفهوم، هزتك الأريحية والإنسانية.
فكري: ليس إلا!
المرأة: وأنا التي ظننت الأمر غير ذلك.
فكري: ألم أقل لك إن ظنك سيخيب؟!
المرأة: لم يكن في الأمر حب، كيف شاع عنك إذن بهذه السرعة أنك تحب؟
فكري: خيال الناس الخصب.
المرأة: يا لك من مسكين! حياتك إذن عارية مجردة عن الحب، أنت الرجل الخيالي لم تستطع أن تكسو حياتك بالثوب الذي صنعه لك خيال الناس! كيف أمكنك أن تعيش هكذا بغير الحب؟! حتى الموت، تموته أيضًا بغير حب؟!

فكري (صائحًا ويداه حول رأسه): يا ناس، يا ناس كفى تحطيم أعصاب. كفى حرب أعصاب، أنا في عرضكم! أعصابي تحطمت! لم تعد أذني تسمع، ولا رأسي يسع غير الانتحار، الحب، الحب، الانتحار، في الأوراق الرسمية، والأخبار المروية، وكل من دخل عليَّ، الحب، الانتحار، الانتحار، الحب، سأريحكم وأريح نفسي، وأقسم لكم بشرفي، أقسم لكم سأنتحر وأحب، سأحب وأنتحر، في ظرف أربع وعشرين ساعة! قبل أربع وعشرين ساعة، يذاع خبري!

المرأة: هدئ أعصابك!

فكري: أين هي أعصابي؟! لقد انتهى الأمر، خرجت حياتي من زمام عقلي وإرادتي! أنا الآن شخص لا يصلح لشيء إلا للبحث عن الحب والانتحار، أين هو الحب؟ ابحثوا لي من فضلكم عن الحب!

المرأة: الحب لا يبحث عنه، ولكنه يهبط من تلقاء نفسه!

فكري: وإذا لم يهبط أنفلق أنا؟! يقع برج من دماغي؟

المرأة: إنه مثل وحيك، ماذا تفعل عندما يبطئ عليك الوحي في الهبوط؟

فكري (يهدأ قليلًا ويهرش رأسه)**:** الحق أن الوحي لا يستعصي عليَّ عادةً إلا إذا كان الموضوع رديئًا والجو غير مناسب!

المرأة: الحب أيضًا يأتي مع الموضوع الجيد، والجو المناسب!

فكري: أما الجو فأنا غارق فيه لشوشتي! كما ترين، وأما الموضوع فهو طبعًا المرأة، أين المرأة موضوع الحب؟ ابحثي لي.

المرأة: المرأة لا تبحث عن المرأة.

فكري: تقصدين من بالمرأة؟ أنتِ؟ عفوًا إني ما نظرت إليك حتى الآن باعتبارك امرأة.

المرأة: ماذا كنت تعتبرني إذن؟

فكري: منقذة، شركة، الشركة التي انتشلتني من قاع البحر!

المرأة: أما أنا فأعترف أني لم أعتبرك سفينة؟! بل إنسانًا.

فكري: فلأنظر إليك الآن إذن باعتبارك إنسانة، (يتأملها) اسمحي لي أن أعيد النظر!

المرأة: قلت إن الشكل لا يهمك!

فكري: ولا الروح، كل ما يهمني الآن هو العثور على موضوع لانتحاري.

المرأة: إني أرفض أن أكون موضوع انتحار.

فكري: فلتكوني إذن موضوع حب!

المرأة: ولكنك لا تحبني ولم تحبني!

فكري: كنت واهمًا!

المرأة: أمعقول هذا؟ تحب، أنت، أنت؟ بهذه العجلة، وبغير تفكير؟

فكري: وهل عندما ألقيت نفسي في البحر كنت تمهلت أو فكرت؟

المرأة: أقدرت نتيجة هذا الحب؟ أتعرف عاقبته؟

فكري: الزواج، وسنعلنه على الناس غدًا.

المرأة (في صيحة)**:** هذا جنون!

فكري: شأن كل انتحار!

(ستار)

الفصل الثالث

(حديقة فندق، «فكري» غارق في مقعد كبير مريح إلى جوار مائدة منعزلة، يرشف كوبًا من عصير الليمون، وأمامه «المرأة» تتصفح بعض الجرائد والمجلات.)

فكري: نصيحتي لك من الآن لا تصدقي كل ما ينشر في الجرائد والمجلات!

المرأة: مؤكد، أقرأت ما هو منشور في هذه المجلة؟! (تشير إلى مجلة في يدها.)

فكري (بغير اهتمام): لا.

المرأة: أقرأ لك؟

فكري: لخصي لي.

المرأة: تزعم المجلة أنك انتحرت من أجل ممثلة، تكتب لها دورًا في أحد الأفلام؛ لأن ممول الفيلم الثري ينافسك في حبها، واكتشف أخيرًا ما بينكما من علاقة فضرب الممثلة ضربًا خطيرًا، هو محل تحقيق النيابة!

فكري: لم يذكروا أسماء طبعًا؟!

المرأة: لا.

فكري: يشيرون إلى حادثة «ميمي كمال» و«أبو النجف»! وقد ربطوا بينها وبين حادث انتحاري المزعوم، أرأيت براعة الصحافة؟!

المرأة: ولكن الحادثتين لا توجد بينهما رابطة، وقد شاهدت الأشخاص بعيني في حجرتك بالمستشفى وسمعت حقيقة ما حدث منهم بأذني، هذه المجلة تكذب، هذه الصحف تختلق.

فكري: إنها تؤلف!

المرأة: مثلك!

فكري: نعم، مع هذا الفارق بيننا، وهي أنها تؤلف تخيلات يأخذها الناس دائمًا على أنها حقائق، وأنا أؤلف حقائق يأخذها الناس دائمًا على أنها تخيلات!

المرأة: ترى ماذا ستقول هذه الصحف عن زواجنا عندما يتم؟

فكري: ستقول إنه قصة خيالية لم تحدث وليس لها وجود!

المرأة: في هذا، الصحف معذورة، أنا نفسي لا أكاد أصدق.

فكري: لا تصدقين ماذا؟

المرأة: قرار كهذا في منتهى الخطورة، تقدم أنت عليه هكذا بكل بساطة وبكل سرعة.

فكري: طبعي، هكذا خُلقت.

المرأة: مستحيل، ألا تفكر قليلًا قبل أن تكتب أو تؤلف؟!

فكري: الكتابة والتأليف شيء آخر، إني فكرت مرة عشر سنوات قبل أن أؤلف قصة، وإني ربما أتردد يومًا كاملًا قبل أن أستعجل كلمةً أو حرفًا من حروف الجر.

المرأة: والكلمة التي قد تجر حياتك كلها إلى الجحيم، تلفظها بدون تردد.

فكري: ثقي بأني أكثر منك دهشةً من نفسي، لكن ماذا في استطاعتي أن أصنع؟ طبعي هكذا، هكذا خلقت!

المرأة: ألست نادمًا على نطقك بهذا اللفظ؟ إني على استعداد أن أحلك منه.

فكري: هذا شيء مفروغ منه، لا بد أن أتزوج، وسأتزوج.

المرأة: إنك حتى الآن لا تعرف عني شيئًا!

فكري: أعرف عنك كل شيء امرأة ككل النساء!

المرأة (ساخرة): معلومات واسعة حقًّا!

فكري: تكفيني!

المرأة: واسمي؟! حتى اسمي لم تسأل عنه!

فكري: اسمٌ كمئات الأسماء!

المرأة: وأسرتي؟ لم تعرف أسرتي؟!

فكري: أب وأم من نسل آدم وحواء!

المرأة: ألا تلزمك بيانات عني أكثر من هذه؟!

فكري: لا أظن.

المرأة: إلى من ستخطبني إذن؟!

فكري: إلى والدك.

المرأة: أتعرف عنوانه؟

فكري: لا.

المرأة: أتعرف صناعته؟

فكري: لا.

المرأة: تحب أن أقول لك ما عمله؟

فكري: لا بأس!

المرأة: مهندس!

فكري: لا ضرر!

المرأة: هو الذي بنى «منارة الإسكندرية»!

فكري: ماذا؟ «منارة الإسكندرية»؟! ألم نقرأ في التاريخ أن الذي بناها هو «الإسكندر الأكبر»؟!

المرأة: هذا صحيح، في عهد «الإسكندر الأكبر»!

فكري (صائحًا): في عهد «الإسكندر الأكبر»، وبناها أبوك؟!

المرأة: بالضبط، ورأيت أبي وهو يضع التصميم!

فكري (بدهشة): على هذا الاعتبار عمرك كم سنة؟!

المرأة: خمس وعشرون!

فكري: قبل الميلاد؟!

المرأة (ضاحكةً): قبل ميلادك أنت، على وجه التقريب، ربما أكون مغاليةً في سنتين أو ثلاث.

فكري: إني لم أولد في عهد «الإسكندر»!

المرأة: ولا أنا.

فكري: والمنارة؟! ألم تقولي إنك رأيت وضع تصميمها؟!

المرأة: رأيت ذلك بعيني وكنت طفلة، كان أبي يرسم على الورق الأزرق السميك خريطةً للبرج الجديد الذي يوضع فيه المصباح الكهربائي.

فكري: المصباح الكهربائي، أبوك إذن مهندس في مصلحة.

المرأة: الموانى والمنائر.

فكري: قولي هذا من أول الأمر.

المرأة: وهل تركت لي وقتًا لأوضح قصدي، إنك لا تريد مني بيانات ولا إيضاحات، وتسمع بدون أي عناية أو اهتمام!

فكري: سأسمع، تفضلي!

المرأة: هذا فيما يختص بوالدي!

فكري: الكلام سيكون إذن مع حضرته؟

المرأة: إنه غير موجود!

فكري: مسافر؟

المرأة: متوفى!

فكري: ألف رحمة عليه، من غيره؟

المرأة: أخي!

فكري: ماذا يعمل أخوك؟

المرأة: صاحب أطيان، سبع عزب!

فكري: صاحب سبع عزب؟! ورثها أو اشتراها؟!

المرأة: لم يرثها ولم يشترها، وجدها!

فكري (بدهشة): وجدها؟! وجد سبع عزب؟! وجدها أين؟!

المرأة: وجدها حيث هي موجودة، دائمًا، بمساحاتها الشاسعة!

فكري: مساحاتها الشاسعة؟! كم فدانًا؟ ألف؟!

المرأة: ألف فدان فقط؟!

فكري: ألفين؟ ثلاثة آلاف فدان؟

المرأة: فقط؟ قل ثلاث مائة ألف فدان، مليون فدان.

فكري: مليون فدان! في أي مديرية؟ هذه، هذه الأطيان؟

المرأة: ليست في مديرية، ليست على البر.

فكري: ليست على البر؟!

المرأة: في البحر، ألا تعرف أنه توجد سبعة بحار؟! هذه هي السبع عزب، التي يتنقل بينها أخي، كأنه يتنقل بين أطيان وغيطان خضراء هي الأخرى، ذلك الاخضرار الذي لا يقل جمالًا عن اخضرار الزرع، هكذا يقول لي أخي دائمًا كلما عاد إلينا بعد رحلة بحرية طويلة.

فكري: أهو ضابط بحري؟!

المرأة: نعم.

فكري: قولي هذا من أول الأمر.

المرأة: إني أضع لك المعلومات في القالب الخيالي الذي يروق لك!

فكري: وحضرة الأخ هو الذي سيكون معه الكلام؟!

المرأة: لا، إنه غير موجود.

فكري: متوفى؟!

المرأة: مسافر!

فكري: ومتى يعود؟

المرأة: هذا شيء لا يمكن معرفته، ولا التنبؤ به؛ لأنه يعمل على سفينة تجارية، تجوب كل البحار، وتقف على كل الموانى، وقد يمضي العام دون أن نراه.

فكري: غيره؟

المرأة: عمي!

فكري: ماذا يعمل عمك؟

المرأة: تاجر.

فكري: كفى، عرفت.

المرأة: كيف يمكن أن تعرف قبل أن أقول لك؟!

فكري: ألم تقولي تاجر؟! طبعًا لا بد أن يكون تاجر رمال في الصحراء الغربية، أو تاجر سحاب في السماء الشتوية، أو تاجر هواء في البلاد القطبية.

المرأة: خيالك شطح أكثر من اللازم!

فكري: أنت التي فتحت الباب، ثقي بأني أقل الناس حبًّا للخيال، وأتمنى لو تسردين لي الحقائق عاريةً مجردة!

المرأة: عمي يا سيدي العزيز ليس تاجر رمال ولا سحاب ولا هواء.

فكري: تاجر حبوب؟ قطن؟ حرير؟

المرأة: ليس تاجر طعام ولا ثياب!

فكري: تاجر ماذا هو إذن؟

المرأة: ابحث في ذهنك قليلًا.

فكري: تاجر زهور؟

المرأة: لا.

فكري: تاجر عطور؟

المرأة: لا، تاجر عيون.

فكري: عيون؟! أعترف أن هذا لا يمكن أن يخطر لي على بال، تاجر عيون؟ عيون بشرية؟!

المرأة: طبعًا، عيون بشرية.

فكري: وأين يجد هذه العيون البشرية؟

المرأة: إنه لا يصنعها، بل يحصل عليها «جاهزة»!

فكري: «جاهزة»؟! يا لطيف!

المرأة: ترد إليه من الخارج، إنه الوكيل العام لشركة سويسرية كبرى.

فكري: آه، عيون صناعية!

المرأة: طبعًا، أوكنت تظنها حقيقية؟!

فكري: ماذا أصنع لك؟ «لخبطت» دماغي!

المرأة: أنت الذي ترى بدهشةٍ الأشياء البسيطة، وترى ببساطة الأمور الخطيرة!

فكري: وعمك هذا، موجود؟

المرأة: ومحله خلف البورصة.

فكري: الكلام إذن مع عمك؟

فكري: نعم، وقد مهدت للأمر، وذهبت إليه أمس، وأخبرته أنك ستخرج من المستشفى إلى هذا الفندق، وأقنعته بأن يأتي لزيارتك والتعرف بك، زيارتي هنا؟ متى؟

المرأة: كم الساعة عندك بالضبط؟

فكري (ينظر إلى ساعته)**:** الساعة الآن الخامسة والنصف.

المرأة: لن يلبث أن يأتي، سيحضر على كل حال قبل المغرب.

فكري: ولماذا لم تخبريني بذلك ساعة مجيئك؟

المرأة: أخبرك بحضوره قبل أن أحدثك عنه!

فكري: ألم يكن من الواجب أن أذهب أنا إليه؟

المرأة: أنت خارج من المستشفى، والواجب على الناس أن تزورك.

فكري: معقول!

المرأة: كل ما أخشاه هو أن تستثقل عمي، فهو رجل عمل، لا يجيد الكلام في أي موضوع خلاف الموضوع المتعلق بعمله!

فكري: لن أكلمه طبعًا في الأدب ولا في الفن!

المرأة: ستفاتحه في هذه الجلسة؟

فكري: في مسألة الزواج، ولم لا؟

المرأة: ماذا ستقول له؟

فكري: سأقول له بكل بساطة أطلب إليك يد ... يد ... ما هو اسمك؟

المرأة: عرفت الآن أن اسمي له بعض اللزوم؟!

فكري: حقًّا، أخبريني باسمك!

المرأة: اسمي «جنبرية».

فكري (بدهشة): «جنبرية»؟!

المرأة: نعم «جنبرية»، ألا تعرف الجنبري؟

فكري: الجنبري الأحمر الذي يؤكل مع الأرز؟!

المرأة: نعم، ويسلق ويوضع في الزيت والليمون.

فكري: ويؤكل بصفة «مزة».

المرأة: ويطبخ بالبصل والطماطم!

فكري: أنت هذا؟!

المرأة: نعم!

فكري: «جنبرية»! أتزوج «جنبرية»؟!

المرأة: «جنبرية مسلوقة»، بدون أرز ولا زيت ولا ليمون ولا بصل ولا طماطم.

فكري: مسلوقة؟!

المرأة: بالشمس وماء البحر، منذ صغري، أحيا هكذا بين الموج والرمل والصخر، لهذا أطلق عليَّ أهلي اسم «جنبرية»!

فكري: عاشت «الأسامي»!

المرأة: ألا يعجبك؟

فكري: وفي شهادة ميلادك كتبوا جنبرية؟!

المرأة: طبعًا لا، اسمي الأصلي في شهادة الميلاد «درية».

فكري: «درية»!

المرأة: لك أن تختار ما يحلو لك.

فكري: أختار ... أختار ... أختار «جنبرية».

المرأة: أرأيت؟! هذا الاسم لا يريد أن يتركني.

فكري: سيتركك يوم تتركين البحر.

المرأة: متى ذلك؟

فكري: عندما نذهب إلى «القاهرة»، سنقيم بالضرورة في «القاهرة» أغلب العام، أيضايقك هذا؟

المرأة: لماذا؟

فكري: فراق أهلك؟ والدتك؟

المرأة: والدتي توفيت بعد وفاة والدي بعامين، وليس لي هنا غير عمي وزوجته، وهي في نفس الوقت خالتي، وفي منزلها أقيم، هنا قرب بلاج «جليم».

(يظهر «جلال» وهو يمسح عرقه بمنديله، ويروِّح به على وجهه من الحر والتعب.)

جلال (وهو يحني رأسه للمرأة)**:** مساء الخير!

فكري: أنت قادم الساعة من الخارج؟

جلال: لأصعد توًّا إلى حجرتي، وأعد حقائبي وأعود إلى القاهرة الليلة.

فكري: تعود نهائيًّا؟

جلال: نهائيًّا.

فكري: وما الداعي إلى عودتك الفجائية؟

جلال: وما الداعي إلى إقامتي هنا؟! كل شيء انتهى.

فكري: ما هو الذي انتهى؟

جلال: الفيلم، لن يعمل الفيلم.

فكري: ومساعيك؟

جلال: فشلت!

فكري: و«ميمي كمال»؟

جلال: رأسها والخشب!

فكري: و«أبو النجف»؟

جلال: طردته «ميمي» شر طرد، وهددت باستدعاء «البوليس» إذا حاول الاقتراب من بابها.

فكري: وأخيرًا؟

جلال: أخيرًا، خاف أبو النجف من كلمة البوليس، وقرر إقفال باب الموضوع بأكمله، وقال لي «على الله العوض فيما صرفته على الفيلم حتى الآن»، وودعني وكلفني أن أودعك، وذهب إلى حال سبيله، والآن، ما مشروعاتك؟

فكري: زواجي.

جلال (فاغرًا فاه): زوا... زوا... زواجك؟!

فكري: ما لك ارتعت هكذا؟!

جلال: المفاجأة.

فكري: شديدة؟!

جلال: أخذت على غرة.

فكري: أنت أو أنا؟

جلال: بدون مقدمات؟!

فكري: كم من الزمن يلزم أن أنتظر ليزول عنك أثر المفاجأة، وتصغي بهدوء؟!

جلال: هدأت، تكلم!

فكري: سأتزوج.

جلال: من؟ ستتزوج من؟

فكري: تلك المرأة التي كانت ها هنا منذ لحظة.

جلال: «إستر وليامز»؟!

فكري: ما رأيك؟

جلال: الآن زالت دهشتي، ولم يعد في الأمر مفاجأة لي، إني منذ رأيتها عندك في المستشفى حدثتني نفسي أنكما لا بد سائران معًا في طريق طويل، لقد سخرت أنت مني، عندما سرت خلفها من «بولكلي» إلى ميدان «محمد علي»! وها أنت ذا ستسير خلفها من هنا إلى آخر محطة في العمر!

فكري: اللهم لا اعتراض!

جلال: هذا أسلم عاقبة، على أي حال، من سيرك خلفها إلى قاع البحر!

فكري: اللهم لا اعتراض!

جلال: تشجع، وسر في طريقك بصبر وجلد!

فكري: لا تشمت!

جلال: بالعكس، إني أهنئك، وطالما تمنيت لك ...

فكري: هذه المصيبة!

جلال: هذه المرأة التي تشاركك الحياة، وتسير معك.

فكري: على «كورنيش» العمر، إلى أن تقع مفاصلي، وتنخلع ركبي!

جلال: عجبًا، إذا كان هذا رأيك، فكيف تقدم على هذه الخطوة؟!

فكري: لأنه يجب أن أخطوها، لا أستطيع أن أقف.

جلال: ما الذي يرغمك؟!

فكري: وأنت ما الذي أرغمك أن تسير يومها من محطة إلى محطة، دون أن تقف؟!

جلال: أردت أن أمضي إلى نهاية المطاف، إصرار وعناد!

فكري: أنا أيضًا أريد أن أذهب إلى النهاية! قرار عناد وإصرار!

جلال: فليكن، من يدري؟ ربما كانت نهايتك سعيدة!

فكري: إنها نهاية، على كل حال.

جلال: وبداية أيضًا.

فكري: بداية ماذا؟

جلال: بداية حياة جديدة، لا تعلم عنها شيئًا، وربما كانت أجمل من حياتك هذه الأولى؟!

فكري: هكذا نقول دائمًا عندما تشرف على الموت! نعلل النفس بحياة أخرى في العالم الآخر، أجمل من حياتنا الأولى!

جلال: ولماذا لا يكون هذا صحيحًا؟! هل يعلم أحد ما يخبئه لنا الغد؟!

فكري: حقًّا، من ذا الذي كان يستطيع منذ يومين أن يتنبأ بما وقع اليوم؟!

جلال: وقعة سليمة إن شاء الله!

فكري: أنت موافق إذن؟!

جلال: بلا تحفظ.

فكري: على موتي؟!

جلال: على زواجك.

فكري: الاثنان واحد! وكان يجب أن ألقي بنفسي في أحدهما لأصل إلى الآخر.

جلال: على خيرة الله!

فكري (فجأةً): أتحب الجنبري؟

جلال (بدهشة): الجنبري؟! ما هي المناسبة؟!

فكري: حقًّا لا توجد مناسبة!

جلال (ناظرًا إليه بقلق): ماذا بك؟

فكري: علامات الساعة!

جلال: لا تتشاءم! فكر في عش الزوجية الجميل!

فكري: على ذكر العش، هل تعتقد أن الوحي يستطيع أن يبيض ويفقس ويفرِّخ في عش الزوجية؟!

جلال: جدًّا، جدًّا، ومن غير الزوجة يحسن هذا العمل؟! أليست هي التي تعنى بتربية الحمام والدجاج؟! وإذا كانت هي التي تعرف كيف ترعى أعشاش الدواجن، ألا تعرف كيف ترعى عش «الوحي» وتعنى بفراخه وكتاكيته؟!

فكري: معقول!

جلال: من هذه الناحية اطمئن كل الاطمئنان، سوف تجد حياتك قد انتظمت، وبيتك قد خيم عليه الهدوء. تجلس إلى مكتبك تكتب الساعات كما تشاء، دون أن يعكر عليك أحد صفاءك، لأن زوجتك وحارسة معبد فكرك واقفة على الباب بالمرصاد، إذا حدثت ضجة منعتها من الوصول إليك، وإذا سمعت همسة خافت أن تبلغ أذنيك، إنها هي التي ستحيط وحيك بذراعيها لتحميه من الهرب أو الشرود، وتمسح على ريشه بيدها الحريصة، وتجعله يألف عش الزوجية ويجعل منه عشه الدائم.

فكري: هذا حلم!

جلال: ثق بأنه سيتحقق.

فكري: هذا حقًّا ما يلزمني!

جلال: ثق بأنك ستناله.

فكري: عش الزوجية هو عش الوحي الدائم!

جلال: ثق بأن هذا هو الذي سيحصل.

فكري: إنك تجعل لي البحر طحينة!

جلال: ثق بأن هذه جنتك وجنة فنك الموعودة.

فكري: إنك تملأ نفسي بالأمل في المستقبل!

جلال: إياك أن تفقد هذا الأمل لحظة، ومثل «إستر وليامز» قديرة على أن تحقق لك كل هذا الحلم، إن التي لها الجلد على السير هكذا إلى آخر محطة، ولها البراعة أن تسبح هكذا إلى الأعماق، لن تعجز عن اقتناص وحيك ولو هرب إلى «واق الواق»!

فكري: معقول!
جلال: ثق بأني لو كنت وجدت مثلها لتزوجت منذ زمن طويل!

(يظهر خادم الفندق، ويقدم بطاقة زيارة إلى «فكري»، فينظر فيها ويلتفت إلى الخادم في الحال.)

فكري (للخادم)**:** فليتفضل! (للمخرج) عمها!
جلال (يمد يده لفكري)**:** مبروك، بالرفاء والبنين إن شاء الله، اسمح لي الآن أعد حقائبي.
فكري: أشكرك جدًّا يا «جلال»، مع السلامة! (يخرج «جلال»، ويبقى «فكري» وحده ثم لا يلبث أن يظهر خادم الفندق يقود الزائر وهو العم.)
العم: الأستاذ «فكري»؟
فكري: أنا، تفضل، أهلًا وسهلًا.
العم: أزعجتك؟
فكري: بالعكس، حصل لنا الشرف، ماذا أطلب لك؟
العم: لا شيء، متشكر.
فكري: لا بد!
العم: قهوة مضبوطة، إذا سمحت.
فكري (للخادم)**:** قهوة مضبوطة.

(الخادم يخرج.)

العم: بنت أخي أخبرتني أن حضرتك خرجت من المستشفى، لا بأس عليك ماذا كان عندك؟
فكري: ألم تخبرك هي بما أصابني؟
العم: لا، أخبرتني فقط أنه كان عندك تعب، استوجب الراحة، ماذا؟ أعصابك؟
فكري: أعصابي؟! نعم، حقًّا كانت أعصابي محطمةً ولا تزال.
العم: آه، هذا فعلًا يؤثر في العيون!
فكري: العيون؟! وغير العيون!
العم (يخرج نظارته ويضعها على أنفه ويحدق في عيني فكري)**:** بديع، بديع، عمل متقن؟

فكري (غير فاهم): بديع؟ متقن؟

العم: بدون شك، عمل متقن، تسمح حضرتك.

فكري: ماذا؟

العم: تخلعها لحظة!

فكري: ما هي التي أخلعها؟

العم: العين!

فكري: عين من؟

العم: عين حضرتك طبعًا، اخلعها لحظة واحدة، نفحصها ونردها في مكانها!

فكري (في ذهول): تخلعها وتردها؟ عيني؟ ما هذا الكلام؟ حضرتك تتكلم بجد؟!

العم (ينهض): المسألة بسيطة جدًّا ولن تستغرق ربع دقيقة، تسمح لي أنا، يدي متمرنة، تلقطها في ثانية!

فكري (صائحًا): تلتقط عيني؟ انتظر يا حضرة الفاضل، انتظر!

العم: لا تخف، افحصها أنت بيدك إذا شئت، المهم هو أن أفحصها، وأرى اللون جيدًا، وآخذ المقاس، وأعرف الماركة.

فكري: المقاس والماركة، وبعدها مع حضرتك؟!

العم: فقط لا غير، والباقي عليَّ أنا.

فكري: اجلس من فضلك، أرجوك، يظهر أن بنت أخيك لم توضح لك الموضوع، اسمح لي أدخل مباشرةً في الموضوع!

العم: الموضوع معروف، هذا شغلي الذي أفهم فيه، وأمارسه منذ ثلاثين سنة، سترتاح من عملنا جدًّا، وستكون مسرورًا من شغلنا للغاية!

فكري: الموضوع يتعلق ببنت أخيك.

العم: أخبرتني، أخبرتني، وقد أحضرت معي «العينات».

فكري (مدهوشًا): العينات؟!

العم (يخرج من جيبه صندوقًا صغيرًا): انظر حضرتك، انظر البضاعة، هذا شغل سويسرا، لم أحضر معي غير اللون العسلي، لأن بنت أخي أخبرتني أن عينك عسلية.

فكري: أهذا هو كل ما أخبرتك به بنت أخيك؟!

العم: قالت لي عين حضرتك لا هي بالمتسعة جدًّا ولا بالضيقة جدًّا، متوسطة الفتحة، أي مقاس متوسط.

فكري: خلاف فتحة العين ومقاسها، ألم تقل لك شيئًا آخر؟!

العم: قالت لي.

فكري (بأمل): ماذا قالت لك؟

العم: أن أتساهل معك في الناحية المادية.

فكري: هل تعرف ما هو قصدها بهذه العبارة؟

العم: قصدها طبعًا أن أكارمك في الأسعار، وهذا ما ستلمسه حضرتك بنفسك.

فكري (كالمخاطب نفسه): شيء عجيب!

العم (مستمرًّا): لأن أسعارنا لا تقبل المزاحمة، حقيقة أشهد، والشهادة لله، أن الشغل الذي عندك (يشير إلى عيني «فكري») متقن جدًّا، لأني أجد صعوبةً في التمييز بين عين وعين، ولكن الثمن أيضًا لا بد أن يكون باهظًا، بالصراحة كم دفعت في عينك؟!

فكري (يائسًا مخاطبًا نفسه): آخرتها يا ربي! الموضوع ...

العم (مستمرًّا): أنا أعرف، لا داعي أن تقول، لن آخذ منك أنت مثل هذا السعر، أنا يهمني «الركلام»، وسأعطيك بضاعةً لمجرد الإعلان، تسمح نجرب «العينة».

(ينهض بالصندوق ويقترب من وجه «فكري».)

فكري (متراجعًا): ارحمني يا حضرة، أرجوك، دعني أفهمك الموضوع، بنت أخيك لم تقل لك شيئًا، أنا أقول لك، اجلس.

العم (يجلس): أمرك.

فكري: إني لست زبون عيون، عيناي طبيعيتان، سليمتان، انظر ...

العم (ينهض مادًّا أصابعه): أرني ...

فكري (بخوف): أبعد أصابعك من فضلك، الموضوع لا يمس عيني بالكلية، إنه خاص بزواج بنت أخيك!

العم (مفاجأة): زواج بنت أخي، «درية»!

(الخادم يحضر القهوة.)

فكري: تفضل القهوة أولًا.

العم (يتناول القهوة من الخادم الذي ينصرف): درية ستتزوج؟!

فكري: إذا سمحت لها.

العم: إني دائمًا أسمح، ولكنها هي التي دائمًا ترفض.

فكري: أسبق أن رفضت؟

العم: كثيرون تقدموا لطلبها، شبان من متخرجي الجامعة، ومن مهندسين وضباط وموظفين وتجار، إن بنت أخي لها عقلية خاصة وطراز خاص، إنها من صغرها تميل إلى الأشياء الغريبة.

فكري: وهل أُعتبر أنا من الأشياء الغريبة؟!

العم: حضرتك؟!

فكري: أريد التقدم لطلبها، هل عندك مانع؟

العم: إذا قبلت هي فإني أرحب.

فكري: هل أستطيع أن أزورك عصر الغد؟

العم: يحصل لنا الشرف، هل تعرف المنزل؟ «فيلا» صغيرة زرقاء اللون، بالقرب من «بلاج»، انتظر أكتب لك العنوان بالضبط.

(يضع فنجان القهوة ويخرج بطاقةً من جيبه ويكتب العنوان ويسلمه «لفكري».)

فكري: شكرًا!

العم: إني آسف، أزعجتك بالعيون و«العينات» بدون مبرر، لقد فهمت خطأً من «درية» أنك خارج من المستشفى متعب الأعصاب والعين، فاتجه ذهني إلى ما يتصل بعملي بالطبع.

فكري: بالطبع!

العم: أكرر أسفي وخجلي، لست أدري لماذا فهمت أن الموضوع يتعلق بعين صناعية بالذات لا «بنظارة» مثلًا، مع أن تجارتي الأصلية هي في كل أصناف «النظارات» والعدسات، قد تكون العفريتة «درية» هي التي تركتني أفهم ذلك، إني أزعجتك (ينهض ويسلم) أدعك الآن تستريح، أنا سعيد بالمعرفة، إلى الغد!

فكري (ناهضًا مسلمًا): إلى الغد!

(يخرج العم، ويبقى «فكري» وحده، وما يكاد يجلس في مكانه، حتى تظهر «درية» باسمة.)

فكري (في حدة): أين كنت حضرتك؟

دربة: هنا مختفية على مقربة منكما، أشاهد ما يجري ولا أحد يراني.

فكري: تشاهدين ما يجري؟! وتتركينه هكذا يريد يخلع عيني، ويركب بدلًا منها «ماركة» جديدة؟!

دربة (تضحك)**:** ثق بأني ساعة الخطر كنت تقدمت لنجدتك! كالعادة!

فكري: نعم كالعادة! إني منذ رأيتك والخطر يحوم حولي في كل لحظة.

دربة: وماذا يهم الخطر، ما دام هناك من ينقذك منه دائمًا؟!

فكري: وهل يوقعني في الخطر غير حضرتك؟! أنت التي توقعينني فيه دائمًا! أخبريني! لماذا تركت عمك يفهم أني زبون؟!

دربة: لأنه لو لم يفهم أنك زبون، لما حضر بهذه السرعة!

فكري: كان يجب أن تفهميه أني زبون ... يريد عينيك أنت، بنظراتها الحقيقية، لا عيونه هو الزجاجية!

دربة: لن يهتم.

فكري: لن يهتم بخاطب يطلب يدك؟!

دربة: لن يأخذ الأمر على سبيل الجد، سيظن الحكاية كغيرها لن تؤدي إلى نتيجة!

فكري: ولماذا لا تؤدي إلى نتيجة؟!

دربة: هذه فكرته عني الآن.

فكري: معذور، لأنك سبق أن رفضت طلابًا من خيرة «العرسان»!

دربة: ربما، ولكنهم لا يصلحون لي، ولا أصلح أنا لهم، إني لا أريد زوجًا عاديًّا، لا أريد رجلًا مثل كل الناس.

فكري: تريدين شيئًا غريبًا؟

دربة: نعم، أريد رجلًا يسبح فيه خيالي، كما يسبح في هذا البحر الغامض العجيب، الذي نشأت في أحضانه، رجلًا يريني ألوانًا من تلك المشاعر، التي غصت عليها بين سطور صفحاته، كما أغوص على الأصداف تحت صفحات الماء، رجلًا يجعلني أعيش في كنفه حياة بطلات القصص التي يبدعها، تلك الحياة التي تهمس في أرجائها موسيقى الكلمات الشعرية، وترفرف على عشها أجنحة الأحلام الذهبية!

فكري: اسمعي! ما دمنا قد دخلنا في الأعشاش والأجنحة، أنا أيضًا لي حلمي، الذي أريد أن يتحقق على يديك!

دربة: حلمك؟! ما هو حلمك؟

فكري: هل تفهمين في تربية الكتاكيت؟!

درية (بدهشة): الكتاكيت؟!

فكري: كتاكيت، حمام، دجاج، أي طير يبيض ويفقس ويفرخ، ويريش، ويعشش.

درية: لم أكن أعلم أن لك هذه الهواية!

فكري: هواية؟ هذا عملي، هذا صميم عملي.

درية: عملك؟ «فرارجي»؟ إني أعلم أنك مؤلف؟!

فكري: طبعًا، مؤلف.

درية: وما علاقة المؤلف بالطير؟

فكري: الوحي!

درية: آه، فهمت!

فكري: أليس الوحي من لوازم عملي؟!

درية: بالتأكيد!

فكري: هذا الوحي بأجنحته الرقيقة أين يهبط؟

درية: أين؟

فكري: في عش، لا بد له من عش.

درية: طبيعي.

فكري: عش الوحي يجب أن يكون عندي هو عش الزوجية، وعش الزوجية هو عش الوحي!

درية: اطمئن، سأجعل الوحي لا يفارق العش!

فكري: بماذا؟

درية: ما الذي يحبه الوحي؟

فكري: الهدوء!

درية: سأفرش له البيت بالهدوء!

فكري: أوتعرفين متى يهرب الوحي؟

درية: متى؟

فكري: إذا سمع صوت مناقشات ومشاجرات.

درية: لن يسمع، ستكون أعصابي في ثلاجة صيفًا وشتاءً، وستكون على فمي الابتسامة صباحًا ومساءً، لن يعرف وجهي العبوس، ولا جبيني التقطيب، ولا ملامحي التجهم، ولا شفتاي التبرم ولا ضميري القلق، ولا روحي الحيرة!

فكري: ولا قلبك الغيرة؟

درية: الغيرة؟ ممن؟ من ماذا؟

درية: من كلام مع ممثلة، من خطاب معجبة، هذه الأشياء الداخلة في أعمال المهنة، ولا يمكن تفاديها ولا تحاشيها ولا الخلاص منها.

درية: أأنت إلى هذا الحد ضعيف الثقة بعقلي؟!

فكري: عقلك مهما يكن هو عقل امرأة!

درية: إني حقًّا امرأة، ولكني لست كالأخريات!

فكري: كل امرأة تقول عن نفسها ذلك!

درية: سترى، وستعرف، وستتأكد!

فكري: واثقة؟

درية: كل الثقة.

فكري: ضمنًّاك، من يضمن الأولاد؟

درية: أي أولاد؟

فكري: ألن يولد لنا طفل؟!

درية (كالحالمة): حقًّا، ما أجمل ذلك!

فكري: لا أتكلم عن جماله، بل عن صراخه!

درية: لن يصرخ!

فكري: كيف تتنبئين بذلك؟

درية: سأجعل حجرته بعيدة عنك.

فكري: وإذا مرض؟

درية: سأتولى أنا ملاحظته، ولا أشغلك بشيء، ولن يبلغك من أمره ما يزعجك، يصحو وينام، ويبكي ويضحك، ويصيح ويتوعك، دون أن تعلم أنت عن ذلك شيئًا.

فكري: هذا هو الحلم، هذا حقًّا هو عش الوحي!

درية: ثق بأن الوحي سيشعر أن البيت بيته، ولن يسمع فيه صوتًا غير صوته.

فكري: على رأي المثل «دبورين ما يزنوش في عش واحد»! إما طنين المرأة، وإما طنين الوحي!

درية: لن يسمع في العش غير طنين الوحي وحده!

فكري: أبشري إذن ببقائه الدائم!

درية: لن يهرب ما دمت أنا في البيت، سيجد من حناني وشفقتي!

فكري: انتظري من فضلك، على ذكر الشفقة والحنان، إذا أطلت الجلوس إلى مكتبي والوحي مرفرف بجناحيه على ورقي، فإياك أن تقطعي عملي بحجة الشفقة والحنان، ولو مكثت الساعات، تلو الساعات!

درية: وإذا جاء وقت الطعام؟

فكري: لا تنبهيني.

درية: وكيف تعمل ومعدتك خاوية؟

فكري: لا بأس بقطعة «ساندوتش» تضعينها برفق وهدوء وحذر تحت يدي، دون أن تشغليني عن مواصلة العمل!

درية: وإذا أذن عليك الفجر، وأنت لم تزل تكتب؟

فكري: ماذا تفعلين؟

درية: أقول لك هذا أذان العصر.

فكري: أي عصر؟

درية: عصر اليوم السابق طبعًا.

فكري: أحسنت، «برافو»!

درية: وإذا جاءنا زائر في البيت وأنت تكتب؟

فكري: ماذا تصنعين؟

درية: أغلق بابك عليك بالمفتاح، أضع خلفه المتاريس من الموائد والكراسي والأثاث.

فكري: أحسنت، «برافو»، «برافو»!

درية: وإذا لا سمح الله حدث في المنزل حريق وأنت تؤلف؟

فكري: ماذا تفعلين؟

درية: لا أقاطعك، وأتركك في عملك لا تشعر بشيء.

فكري (صائحًا): يا للمصيبة النازلة! تتركيني لا أشعر بشيء حتى تلتهمني النار؟!

درية: لا أقصد ذلك، لا أقصد ذلك!

فكري: ماذا تقصدين إذن؟

درية: أقصد أني لن أدعك ترتاع وتنزعج وتضطرب ويهرب منك الوحي!

فكري: في هذه الحالة كيف ستتصرفين؟

درية: سأعرف كيف أتصرف في الوقت المناسب!

فكري: قولي لي من الآن، أتوسل إليك!

دربة: لا تخف، إنك تخشى أن أزعجك، اطمئن، لن أزعجك أبدًا.
فكري: والنيران؟
دربة: ما لك أنت والنيران، لا شأن لك أنت ولا وحيك بنار ولا دخان، سأطفئ أنا الحريق من حولكما، دون أن تفطنا إلى ما حدث.
فكري: كيف ستطفئين أنت النار؟!
دربة: سأنزل إلى الطريق وأصيح.
فكري: أنت تنزلين في الطريق وأنا أبقى في البيت الذي يحترق؟!
دربة: نعم، حتى أصيح في طلب النجدة بملء فمي دون أن يزعجك الصوت؟!
فكري: حتى لا يزعجني الصوت؟!
دربة: نعم، لأني سأصيح بأعلى صوتي حريق، حريق، حريق.

(خدم الفندق يسمعون صوتها وهي تصيح، فيهرعون مرتاعين.)

خدم (صائحين): الحريق! الحريق!
فكري (ينهض مرتاعًا يتلفت حوله): الحريق؟ أين هو؟ أين؟ أين؟
الخدم (مشيرين إلى دربة): الست صرخت، الست صاحت الآن!
فكري (متنفسًا): آه، الست! أف، دمي هرب!
دربة (للخدم): هذا خيال، (لفكري) وأنت أيضًا صدقت الخيال؟
الخدم (بدون فهم): خيال؟!
فكري (يشير إلى رأسه ويفهم الخدم): نعم، الحريق هنا، في الخيال، في الخيال، الخيال!

(ستار)

الفصل الرابع

(حجرة مكتب في «عش الزوجية» لا بأس برياشها، وقد جلس «فكري» إلى مكتبه تحت ضوء «الأباجور» الأخضر، في مطلع الليل، يعتصر ذهنه فوق الورق المتناثر حوله وتحت قدميه، وخلفه باب مفتوح يؤدي إلى حجرة داخلية، يأتي منها نور شاحب ويتصاعد من جوفها صوت زوجته درية الثائر الغاضب المتواصل الصاخب.)

درية (من الداخل): ارحموني يا ناس! ارحمني أيها الزوج، عاوني، ساعدني، أنا مت، انتهيت، تحطمت، أعصابي، أعصابي ...

فكري (وهو منكب على ورقه): أف! هذا البطل!

درية (من الداخل): لكل شيء آخِر، لم أعد أحتمل، لا أستطيع المقاومة، لا أستطيع.

فكري (يبحث في ورقه): كيف أختم الفصل الثالث؟ البطل أرسل إلى البطلة خطاب غرام ...

درية (تظهر منهوكة القوى): ألا تسمع ما أقول؟

فكري (وهو غارق في ورقه): ماذا تقولين؟

درية: طبعًا لم تسمع شيئًا كما هي العادة، غارق في هذا الورق، أرجوك، أرجوك، التفت إليَّ لحظة، ارفع رأسك قليلًا، انظر إليَّ، انظر إليَّ ...

فكري (بدون أن يرفع رأسه): أنظر إليك؟ لماذا؟

درية (في شيء من التوسل): لترى وجهي، لأني سأموت.

فكري (شارد الفكر): متى؟

درية: متى؟! إنك لا تعقل الآن ما تقول؟

فكري: ماذا قلت؟

درية: لا تشرد، أرجوك، أصغِ إلى كلامي، ثق بأني سأموت حتمًا إذا استمر الحال هكذا ليلةً أخرى، إني لم أنم، لم يغمض لي جفن منذ أسبوعين كاملين، التيفوئيد كما تعلم يحتاج إلى تمريض دقيق، وطفلنا الآن في مرحلة الخطر، وقواي لم تعد تحتمل السهر عليه بمفردي، لقد وعد الطبيب بأن يرسل إلينا الليلة ممرضةً تعاونني، ولكنها لم تحضر حتى الآن، أرأيت كربي؟ أرأيت بلوتي؟ إنها لم تحر، لم تحضر.

فكري: لم تحضر؟

درية: نعم، كما ترى، لم تحضر حتى هذه اللحظة.

فكري: من هي؟

درية: الممرضة.

فكري: أي ممرضة؟

درية: أأنت معي بعقلك؟ يا لكارثتي بمثلك! فيمَ تفكر الآن إذن؟

فكري (بغير انتباه): في الفصل الثالث.

درية: الفصل الثالث! (ترتمي على المقعد) آه، آه، على بختي الأسود!

فكري (وهو ينظر إليها وهي ترتمي على المقعد): فكرة، فكرة نيرة، نعم، هكذا يجب أن يختم الفصل، انهضي ثم ارتمي مرةً أخرى، مع شيء قليل من الدموع، إذا أمكن، لينزل الستار على منظرٍ مؤثر.

درية: منظر مؤثر؟!

فكري: ألا ترين ذلك؟

درية: أرى حقًّا أني تزوجت برجل مجنون! هذا ذنبي! هذا اختياري!

فكري: ناقشيني، لك الحق أن تناقشيني إذا كنت تخالفينني في الرأي، هل عندك اقتراح بموقف آخر يصلح لنزول الستار؟

درية: أهذا وقت مناسب، أحدثك فيه عن نزول الستار على قصتك؟! أنسيت لماذا جئت إليك الآن؟

فكري: لماذا؟

درية: لأحدثك عن نزول مصيبة على رأسي أنا وحدي!

فكري: مصيبة! شيء جميل، حدثيني عنها بتأنٍّ، وتفصيل، وهدوء، ووضوح، من يدريٍ؟ ربما هبط علينا منها ...

دربة (ثائرة): هبط عليك منها ماذا؟ أهذا كل ما يهمك الأمر؟ تنقض عليَّ أنا المصائب والمتاعب والهموم، فتبادر أنت، لا إلى حملها عني، بل إلى نقلها ووضعها في هذا الورق، هذا الورق الذي أكرهه، وأمقته وأود لو أمزقه وأحرقه، أحرقه!

فكري: تحرقين فني؟!

دربة: فلتسمه أنت فنك ولكني أسميه عبثك، إنك تعبث بآلام الغير، وأنت تصنع منها هكذا مادة قصص ومسرحيات، أنت رجل لا قلب له، أنت تعيش على مصائب الناس!

فكري: أنا وحدي؟! والطبيب، والمحامي، والحانوتي والمربي، كل أصحاب المهن الشريفة! حتى السياسي وتاجر الأسلحة ومخترع القنابل الذرية والصاروخية؟ كل هؤلاء جميعًا يستغلون نكبات الناس!

دربة: ولكنك أنت وحدك من بين هؤلاء جميعًا، الذي تستغل نكباتك ونكبات أقرب الناس إليك.

فكري: أوليس هذا ... أوليس هذا سر شقائنا بهذه المهنة؟! إننا نعطي الفن كل شيء كما ترين.

دربة: نعم، كل شيء حتى ذاكرتك، فإنك تنسى أحيانًا أهلك وأطفالك، وحتى انتباهك، فإنك تشرد بذهنك عنا وعن نفسك.

فكري: كل شيء فينا هو ملك مباح لهذا الفن الملعون، إننا عندما نعطي الناس عملًا فنيًّا لا نعطيهم فقط عصارة ذهننا، بل مشاعرنا وتجاربنا ودموعنا وضحكاتنا، وكل شخصيتنا وكل ذرة من حياتنا!

دربة: وكل هذا مقابل كم من الجنيهات؟ ماذا تعطيني أنت في أول كل شهر لأنفق على بيتك وعيالك؟!

فكري: دعينا الآن من الحديث في المادة.

دربة: وفيم تريد الآن أن أحادثك؟

فكري: في ختام الفصل الثالث. إذا سمحت، أرجوك أن تعاونيني قليلًا، يجب أن أعرفك أولًا بصفات بطل الرواية، إنه كريم جدًّا، ونبيل جدًّا، ويحب البطلة إلى درجة الهيام!

دربة: وما صناعة هذا البطل الهمام؟

فكري: غني جدًّا.

دربة: غني جدًّا، وكريم جدًّا، هل تستطيع أن تسأله أن يقرضنا الآن خمسين جنيهًا؟

فكري: من هو؟

درية: بطلك هذا.

فكري: أأنت مجنونة؟! إنه بطل وهمي، من خلق قريحتي، من صنع خيالي.

درية: نعم هذا كل ما يفلح فيه خيالك! يستطيع أن يخلق شخصًا غنيًّا جدًّا، ولا يستطيع أن يخلق خمسين جنيهًا ضروريةً لنا جدًّا!

فكري: عدنا إلى الكلام في النقود؟!

درية: لأن بها وحدها مع الأسف الشديد نحصل على «الكلوروميستين» الذي وصفه الطبيب لابنك!

فكري: ماذا؟ مايستين؟!

درية: «كلوروميستين»، أحدث دواء للتيفوئيد، يا سيدي المؤلف الغارق مع أبطاله في وديان العشق وتباريح الهوى!

فكري: أتعنفينني؟ ماذا تريدين مني أن أفعل؟ هذه صناعتي، لا بد لي أن أعيش مع أبطالي أولًا، كي أستطيع بعدئذٍ أن أجعلكم تعيشون.

درية: أعرف ذلك، مع الأسف!

فكري: نعم، يجب أن تعرفي أن أبطالي هم الذين يكفلون لنا الرزق، ويفتحون لنا البيت، أنا خالقهم، ولكنهم هم الذين يرزقونني!

درية (سخرية خفية): بلغ شكر الأسرة لهؤلاء السادة الأبطال.

(جرس الباب يرن.)

فكري: الباب!

درية (في لهفة): الممرضة!

فكري: جاءنا الفرج، سيكون في مقدورك الليلة أن تنامي قليلًا بهدوء، وأن أكتب أنا قليلًا بهدوء.

درية: لا تنسَ أن الممرضة تتقاضى في الليلة الواحدة، على الأقل، جنيهين!

(يدخل الخادم وفي يده بطاقة.)

فكري: ألا بد لها أن تقدم بطاقتها؟!

درية (للخادم): أدخلها، أدخلها.

الخادم: دا واحد أفندي، واحد بك.

فكري: بك؟! أرني البطاقة (يتناولها من الخادم ويقرؤها ويصيح) يا للطامة الكبرى! «جلال» مدير الفرقة، المسرح، جاء يطلب الرواية!

درية: في هذه الساعة؟

فكري: موعدي معه كان البارحة، وقد طلبني اليوم مرارًا بالتليفون فغيرت صوتي وأنكرت وجودي، ما العمل؟

درية: ما العمل في المرضة التي لم تأت، آه يا إلهي! سأسهر الليلة أيضًا، أعصابي تحطمت، أعصابي، أعصابي.

(تخرج من الباب الذي جاءت منه وتغلقه خلفها.)

فكري (للخادم): أدخله، وأمرنا إلى الله!

(يخرج الخادم من الباب الآخر الذي جاء منه، ويتجه المؤلف إلى أوراقه المبعثرة يجمعها ويرتبها، إلى أن يظهر جلال.)

جلال: لا مؤاخذة إذا أزعجتك، لقد طلبتك في التليفون أكثر من عشرين مرة، فكان يرد عليَّ صوت كنعيق الغراب، يقول غير موجود، وقد انتهى الممثلون من تدريبات الفصل الثاني منذ أمس ووقفوا مكتوفي الأيدي، وإعلانات الرواية على الحيطان، ولا بد من الفصل الثالث الآن بأي طريقة، أين الفصل الثالث؟ أعطني الفصل الثالث.

فكري: لحظة واحدة!

جلال (بشيء من العنف): أعطني الفصل الثالث من فضلك، بدون مناقشة.

فكري: حلمك، الصبر طيب.

جلال: صبرنا كثيرًا، والعمل معطل، تعالَ انظر من هذه النافذة!

(يقوده من يده إلى نافذة الحجرة.)

فكري: أنظرُ ماذا؟

جلال (وهو يفتح النافذة): تحت في الشارع، ماذا ترى؟

فكري (وهو يطل): لا أرى شيئًا من هذا الطابق الرابع!

جلال: ألا ترى شيئًا في الشارع؟

فكري: أرى الأسفلت.

جلال: وفوق الأسفلت أمام باب العمارة، ألا ترى سيارة «تاكسي»؟ وبجانبها ملقن؟!

فكري: ملقن؟!

جلال: «عبد التواب الملقن»، جئت به معي، وأوصيته أن يقف تحت النافذة وأفهمته أني صاعد إليك لأفعل أحد أمرين، إما أن ألقي إليه بالفصل الثالث، فيسرع به إلى المسرح بالسيارة، حيث ينسخ حالًا ويعد للتدريب، وإما أن ... أن ...

فكري: وإما أن ...؟!

جلال: وإما أن ألقي إليه من هذه النافذة بالمؤلف نفسه!

فكري: يا مغيث!

جلال: وثق بأني أفعلها، انظر إلى عضلاتي، إنك تعلم أني كنت فيما مضى من هواة الرياضة وحمل الأثقال!

فكري (وهو ينظر إلى عضلاته)**:** تفعلها، آه، ليتني لم أكن فيما مضى من هواة الأدب وحملة القلم!

جلال: والآن، ناولني الفصل الثالث بالذوق بدون إضاعة وقت، وبدون ضوضاء!

فكري: الفصل الثالث كله؟

جلال: أولم تتمه بعد؟

فكري: الذنب ليس ذنبي، وأقسم لك.

جلال: ذنب من إذن؟

فكري: الوحي.

جلال: أي وحي؟ نحن لا نعرف غيرك، نحن لم نتفق مع الوحي، نحن قد اتفقنا معك أنت.

فكري: الآن تقول ذلك يا جلال؟! هذا صحيح، أنا الذي أمضيت العقد، ولكنه هو في الحقيقة الذي يقوم بأكثر العمل، أنا أتحمل مسئولية التأخير. وهو يجيء ويذهب تبعًا لمزاجه، غير مقيد كما تعلم بمواعيد.

جلال: ومتى جاءك آخر مرة؟

فكري: هذا المساء منذ ساعتين.

جلال: ولماذا ذهب، قبل أن يتم عمله؟!

فكري: هرب!

جلال: ولماذا هرب؟!

فكري: لأنه لا يستطيع أن يمكث إلا في جو هادئ.

جلال (يلتفت حوله متسمعًا): وهل هناك جو أهدأ من جو هذا البيت؟! إني لا أسمع صوتًا، ولا حركة، ولا أرى عندك ما يزعج الخاطر أو يشغل البال! عش للوحي مثاليًّا كما تنبأت لك منذ سنتين، تمامًا، تمامًا.

فكري (في سخرية خفية): أتظن ذلك؟!

جلال: إني متأكد، ما الذي يمكن أن يشغلك هنا عن القصة؟!

فكري (كالمخاطب نفسه): يشغلني ... «المايستين»!

جلال: ماذا؟ «الميزانسين»؟ لا يا سيدي، لا تشغل نفسك أنت بالميزانسين، هذا من شأن المخرج!

فكري: لست أتكلم عن «الميزانسين» بل عن «المايستين»، «الكلورومايستين»، دواء «التيفوئيد»!

جلال: ما هذا الخلط؟! التيفوئيد ما دخله هنا؟ أهذا موجود في القصة؟!

فكري: لا، بل موجود في حياتي الخاصة.

جلال: لست أفهم.

فكري: أيهمك أن تفهم أم يهمك أن أسلم إليك الفصل؟

جلال: أن تسلم إليَّ الفصل.

فكري: لتلقي به من النافذة إلى الملقن؟

جلال: أو ألقي إلى الشارع بالمؤلف!

فكري: ولماذا لا تلقي إلى المؤلف بالمحفظة؟!

جلال: أي محفظة؟

فكري: محفظتك، محفظة نقودك، ثق أنها لو ظهرت الآن من جيبك، لظهر الوحي في الحال من الباب!

جلال: وما العلاقة بين الوحي والنقود؟ ألم تقل دائمًا إن وحيك لا يريد غير جو الهدوء؟!

فكري: الآن في هذا البيت، الهدوء لا ينسج جوه بغير النقود!

جلال: ألم تقبض مائة جنيه على الحساب؟

فكري: إن الهدوء قد ارتفع ثمنه في هذه الأيام!

جلال (وهو يخرج من جيبه المحفظة): لو ناولتك الآن عشرة جنيهات هل تناولني الفصل؟

فكري: كم معك في المحفظة؟

جلال: شيء على قدر الضرورة.

فكري: ضرورتي أنا بالطبع، أنا أدرى بها منك، تسمح؟ (يخطف المحفظة.)

جلال: محفظتي، محفظتي.

فكري: لا تصرخ هكذا، اهدأ، اهدأ، وإلا يهرب الوحي، لقد ظهر، إنه على عتبة الباب، على العتبة!

جلال (يلتفت): ظهر؟ أين هو؟

فكري (وهو يفرغ محتويات المحفظة على المكتب): منظرك نفَّره، ولكن منظر النقود قد يجذبه!

جلال: ماذا تصنع؟ أوراقي الخصوصية ...

فكري: سأفرز كل شيء أمامك، وأعطي كل ذي حق حقه، (يوزع) هذه ورقة نقدية للوحي، وهذه ورقة خصوصية لك، هذه ورقة مالية للوحي، وهذه ورقة خصوصية لك، هذا له، وهذا لك، هذا كله لك، وهذا كله له.

جلال (صائحًا): وحيك جردني من نقودي، هذا الوحي قاطع طريق!

فكري (وهو يعد النقود ويضعها في جيبه): مبلغ ثلاثين جنيهًا لا غير، بها قد نشتري بعض الهدوء، لا كله، في هذا العش المثالي!

جلال (وهو يتسلم محفظته فارغةً من المال): اترك لي على الأقل أجرة التاكسي.

فكري: إليك عشرة قروش!

جلال: عشرة قروش فقط، وهو في خدمتي منذ أكثر من نصف ساعة؟!

فكري: هاك خمسين قرشًا، لأثبت لك أني رجل كريم!

جلال (وهو يتناول المبلغ الصغير): لعل حضرة الوحي الآن مسرور مني، راضٍ عني، مستعد لتسليم الفصل الأخير في الحال.

فكري (وهو يجمع ورقه المتناثر): مستعد، ها هي ذي أوراق الفصل كاملة، ما عدا ورقة واحدة، فيها الختام، أتمها الليلة.

جلال: أعطني ما تم، أسرع أنا به الآن إلى النسخ، على أن تعدني بشرفك، أن تحضر بختام الفصل إلى المسرح في صباح الغد!

فكري: أعدك بشرفك!

جلال: بشرفك أنت.

فكري (شارد الفكر وهو يراجع أرقام الورق): بشرفك أنت.

جلال: أأنت معي؟ افطن إلي.
فكري: انتظر، ورقة أخرى ناقصة، من الآخر.
جلال: أي ورقة؟
فكري (يبحث حوله): لا بد أنها دشتت، فيها خطاب البطل الذي أرسله إلى البطلة، خطاب غرامي، ملتهب ولكنه لا يقع في يد البطلة بل يقع في يد ... في يد من؟
جلال (يناول مدير الفرقة الأوراق): خذ، حتى أبحث لك عن هذا الخطاب، ما من شك في أنه هنا، تائه بين أوراق أخرى في هذا المكتب أو ربما سقط بين الصحف القديمة والمجلات، انتظر لحظة، انتظر ... (يريد البحث في أكوام الصحف في أحد الأركان.)
جلال: لا أستطيع الانتظار، وقتي ضيق، سأذهب أنا الآن بهذا الذي تم من الفصل، ليسهروا على نسخه الليلة، وأحضر أنت الورقة التائهة في صباح الغد مع ختام القصة، ليلتك سعيدة! (يهم بالخروج مسرعًا.)
فكري (يترك الأكوام التي كان يبحث فيها): دعني إذن أرافقك إلى الباب، وآتي لك بالمصعد، إن الخادم قد أوى فيما يظهر إلى حجرته بالسطح ولم يفكر في أن يحضر إليك فنجانًا من القهوة.

(يخرجان، ويسمع في سكون الليل صوت فتح باب الشقة الخارجي، ويسود الصمت في الحجرة لحظة، ثم يفتح الباب الذي أغلقته «درية» برفق، وتطل هي منه برأسها، فحينما تجد الحجرة خاليةً تتقدم، فتتعثر قدمها بمجلة، فتنحني لتناولها، فتسقط منها ورقة، فتأخذها وتقرؤها.)

درية (تقرأ على مهلٍ بصوت خافت): «حبيبتي، غرامي، حياتي، أكتب إليك هذا الخطاب بالدم، بدمي الذي استنزفته من شرياني، ذلك أن حبك قد جرح فيه، وامتزج به، وأن لونه الأحمر هو لون النار التي تلسعني، كلما مر طيفك الجميل بخاطري، أنفاسي الآن معلقة على كلمة تخرج من شفتيك، اذكري هذه الكلمة بمجرد وصول خطابي إليك، وإلا فاعلمي أنك قتلت رجلًا، لا ذنب له سوى أنه عبدك وأحبك حتى الموت!»

(فكري يدخل ويتجه مسرعًا إلى مكتبه.)

فكري: إلى العمل أيها الوحي، لقد هدأ الجو!
درية (تقدم إليه الخطاب): تفضل!
فكري: ما هذا؟

دررية: أليس هذا خطك؟ خطك الشريف!

فكري (ينظر في الورقة)**:** الخطاب! خطاب البطل، كيف وصل إليك أنت؟!

دررية: وقع في يدي بالمصادفة!

فكري: مفروض فيه ألا يقع في يد البطلة ولا تعلم به!

دررية: أي بطلة؟

فكري: بطلة الرواية طبعًا!

دررية: ومفروض أيضًا ألا يقع في يد زوجتك؟!

فكري: وما دخل زوجتي في القصة؟!

دررية: حقًّا، ليس لها دخل في قصتك ولا في شئون أبطالك، ولكن لها مع ذلك أن تعجب وأن تتساءل وكيف استطاع زوجها أن يكتب مثل هذا الخطاب بدمه، وأن يملأه بهذا الغرام الحار إلى امرأة أخرى؟!

فكري: امرأة أخرى؟!

دررية: ما هي تلك الكلمة التي تتعلق بها أنفاسك، وتريد أن تخرج من بين شفتيها؟!

فكري: شفتي من يا سيدتي العزيزة؟ إنك تتكلمين كما لو كان الخطاب موجهًا إلى امرأة موجودة، حية، حقيقية من لحم ودم!

دررية: ومن يدريني أنها ليست كذلك؟!

فكري: اللهم عفوك! أتشكين في أنها امرأة وهمية، خيالية، من بنات أفكاري؟!

دررية: أوتستطيع امرأة وهمية أن تلهمك هذا الكلام الجميل، بينما أنا المرأة الحقيقية ما تظفر منك قط يومًا بخطاب واحد فيه عبارة من هذه العبارات البديعة، أو عاطفة من هذه العواطف الملتهبة؟!

فكري: هذا كلام للشغل، للتأليف، لزوم التأليف، مجرد كلام.

دررية: ولماذا تضن عليَّ بمثل هذا الكلام في خطاباتك؟! تسافر فلا أتلقى منك غير رسائل تكتب على عجل، بأسلوب عادي مبتذل، لا بالدم ولا بالحبر، بل بالقلم الرصاص!

فكري: أوكنت تريدين أن أكتب لك بالدم، وأفتح شريانًا مع كل خطاب؟!

دررية: وهل أنا أقل شأنًا عندك من البطلة الوهمية التي تكتب لها بدمك؟!

فكري: بدمي أنا أو بدم البطل؟! إنه البطل الذي يقول ذلك في الرواية، وقد يكون كاذبًا، ما من أحد سيجري تحليلًا كيميائيًّا، ليعرف هل كتب بدم أحمر أو بحبر أحمر؟!

دررية (تتنهد)**:** إني سيئة الحظ! إني ألعن اليوم الذي تزوجتك فيه، كنت قبل أن أعرفك، أقرأ وأشاهد كل ما تكتب، وأقول ما أسعد تلك التي ستتزوجه! إنه سيخاطبها

كل يوم بتلك الكلمات الرقيقة الرائعة التي يسحر بها العقول فيما يؤلف وينشر، ولكن واأسفاه! ما إن تزوجتك وعشت معك تحت سقف واحد، حتى وجدتك فردًا عاديًّا مثل كل الناس، لا أسمع منه غير الكلام الفارغ!

فكري: أوكنت تريدين مني أن أخاطبك كل يوم بلغة الكتب والقصص والروايات؟!

درية: ولم لا؟! أتبخل بذلك علينا؟!

فكري: ليست مسألة بخل ولكنها …

درية: ولكنها طباعك، هكذا، لا تريد أن تعطيني غير الجانب الذي لا يطاق منك ولا يحتمل، هذا الشرود الطويل عندما تفكر في مشروع قصة وهذا الحديث الهامس مع نفسك، كأنما هنالك شيطان يأخذك مني ويوسوس لك، كم من مرة كدت أصرخ خوفًا، وأنا أرى شفتيك تهتزان بكلام غير مسموع، وعينيك تشعان بنظرات زائغة، ويديك تتحركان بإشارات حائرة، ثم تنهض فجأةً إلى مكتبك، فتنكب على ورقك وتغرق فيه، فلا ينبهك إلى الوجود طلق المدافع ولا صوت الرعود.

فكري: صوتك أنت هو الذي ينبهني في أكثر الأحيان!

درية: أشكرك، ومع ذلك فأنا التي أبذل كل جهدي لأحمل عنك المتاعب، وأوفر لك خلو البال، وأنشر حولك جوًّا من الهدوء.

فكري: الهدوء الذي يسبق العواصف!

درية: يا لك من جَحود، كَنود، ناكر للجميل! هذا كل جزائي منك، هذا هو نوع الكلام الذي تخصني به وتتحفني، بينما كلامك العذب تضعه في الورق، وتعطيه لمن يدفع فيه نقودًا.

فكري (كمن تذكر): على ذكر النقود، خذي … (يخرج من جيبه الثلاثين جنيهًا يدفعها إليها.)

درية (تعدها): ثلاثين؟! قلت لك أريد خمسين!

فكري: هذا كل ما وجدته في جيب الرجل! ولو كان في استطاعتي أن أجرده من ملابسه لفعلت.

درية (وهي تعد النقود من جديد): ثلاثين فقط، وماذا أصنع بهذه الثلاثين؟!

فكري: ألا تكفي الآن لأشتري بها نصف ساعة هدوء؟! إني أشتري الهدوء بالنقود في هذا العش يا ناس! هذا العش الذي اتفقنا على أنك ستفرشينه بالهدوء! أنسيت؟ أين أعصابك التي قلت إنها ستوضع في ثلاجة، فلا يصدر عنك صياح ولا شخط ولا تبرم ولا

حيرة ولا غيرة ولا ضيق ولا ضجر؟ أكل هذا تبخر؟ نصف ساعة هدوء أدفع فيها ثلاثين جنيهًا فتطلبين خمسين؟ ضجتك أغلى من أكبر مطربة! نصف ساعة هدوء فقط لا لمزاجي والله ولا لراحتي بل لكي أختم بها الفصل!

درية (مشغولة عن كلامه بفحص ورقة مالية ثم تطوي النقود أخيرًا وتنصرف بها): اختم، اختم فصلك، وعلى الله أن يختم ليلتي على خير! (تدخل الحجرة التي كانت قد خرجت منها، وتغلق بابها خلفها.)

فكري (وهو يمسك بالقلم): أف! أين أنت أيها الوحي! تعال ولا تخف، ها قد صرنا وحدنا، والهدوء شامل! (يغرق في الورق.)

(جرس الباب يرن.)

درية (تفتح باب الحجرة وتظهر): الباب!

فكري (يضع القلم ويتنهد): آه، لا مؤاخذة أيها الوحي!

درية: من يكون الطارق؟ قد يكون لك أنت أيضًا، قم وافتح!

فكري: أنا؟!

درية: طبعًا، من غيرك، الخادم قد نام!

فكري (ينهض): سمعًا وطاعة!

(يخرج «فكري» من الباب المؤدي إلى الردهة، وتتبعه «درية» وتقف على العتبة تتسمع لتعرف من الطارق، ولا تمضي لحظة حتى يرتفع في الردهة صوت «فكري» يقول: «تفضلي، تفضلي».)

درية (بلهفة): من؟ من؟ الممرضة؟

(يظهر «فكري» وخلفه الممرضة.)

فكري: نعم، أخيرًا!

درية (للممرضة): لماذا أبطأت علينا كل هذا الإبطاء؟!

الممرضة: أرجو المعذرة، كان عليَّ أن أمر على عدة منازل أعطي بعض الحقن، ولم أفرغ من هذا العمل إلا الساعة.

درية (وهي تفحصها بعينيها): كدت أيأس من حضورك الليلة، وأنا على وشك انهيار القوى، وتحطم الأعصاب من السهر المستمر!

الممرضة: استريحي من الآن واتركي لي الأمر، أين حجرة المريض؟
درية: اتبعيني.

(تقودها إلى الحجرة التي خرجت منها منذ قليل، وتغلق خلفها الباب!)

فكري (يعود وحده إلى مكتبه ويحمل قلمه)**:** تفضل يا حضرة الوحي، ها نحن وحدنا، وعاد الهدوء.

(باب الحجرة يفتح، وتظهر الزوجة وحدها وتقترب من زوجها.)

درية: أصغِ إليَّ لحظة.
فكري (يرمي القلم من يده على المكتب)**:** اللهم الصبر! اللهم الصبر!
درية (بصوت منخفض)**:** ألم تلاحظ شيئًا على هذه الممرضة؟
فكري: لا.
درية: وتسمي نفسك كاتبًا ومؤلفًا؟ أي إنسان على قدر بسيط من قوة الملاحظة يرى أن هذه المرأة ...
فكري: آه، نعم، قبيحة جدًّا.
درية: لست أقصد ذلك.
فكري: ماذا تقصدين إذن؟ أنها حسناء؟ لا يا عزيزتي، أنا لم ألاحظ ذلك مطلقًا، وأقسم لك.
درية: ليس هذا هو المقصود!
فكري: أنت حرة في ذوقك، وأنا حر في ذوقي، هي في نظري قبيحة، ولا تحاولي استدراجي لأقول غير ذلك، فتنقلبي عليَّ وتكون ليلتنا أسود من «الهباب»!
درية: بطنها، بطنها ألم تنظر إلى بطنها؟
فكري: أنا نظرت إلى بطنها؟ اتقي الله، ما هذه التهمة؟ بطنها؟
درية: نعم، كان يجب أن تلاحظ أنها حامل، حامل في الشهر الأخير، بل على وشك الوضع، وربما جاءها المخاض الليلة.
فكري: ما هذا الكلام؟
درية: إني أتكلم عن تجربة، إنني متأكدة مما أقول، هذا بطن امرأة على وشك الوضع!
فكري: وما قولها هي؟

دربة: سألتها باختصار فقالت إن ولادتها لن تكون قبل أسبوعين، ولكني واثقة بأنها مخطئة في الحساب!

فكري: شيء غريب، هل تعرفين أنت خيرًا منها؟ لماذا لا تكونين أنت المخطئة في نظرك؟!

دربة: لا، بل هي المخطئة.

فكري: هي المخطئة أو أنت المخطئة، هذا شيء خارج عن اختصاصي!

(يريد أن يعود إلى قلمه وورقه.)

دربة: بالعكس، هذا شيء يجب أن تبت فيه بسرعة!

فكري (يضع القلم): أنا؟!

دربة: نعم، أنت، بسرعة.

فكري: وما هو المطلوب مني في هذا الموضوع؟!

دربة: ناقشها معي، لتتأكد.

(تتركه وتسرع إلى الحجرة لتأتي بالممرضة.)

فكري: آه، أيها الفن اشهد، أيها الوحي اشهد، ولكن فيما بيننا في السر وفي صمت، وإلا هدم علينا جميعًا البيت!

دربة (وهي تقود الممرضة): أنا وزوجي نخشى أن تكوني متعبة وغير قادرة على القيام الليلة بالسهر والتمريض!

الممرضة: لا خوف عليَّ، إني في صحة جيدة!

دربة: وجهك شاحب!

الممرضة: لعل هذا من أثر العمل طول النهار ولكني أستطيع السهر على المريض، كونا مطمئنَّين!

دربة: ألم تشعري بعلامات اقتراب الوضع؟!

الممرضة: لا.

دربة: أما شعرت بخبط ولو قليلًا في الظهر؟

الممرضة: لا.

دربة (لفكري): ما رأيك أنت؟

فكري: رأيي!

دربة: تكلم! ناقش، المسألة ليست بسيطة!

فكري (للممرضة): ألم تحسي أنك في حاجة إلى العزلة والانفراد؟

الممرضة: لا.

فكري: أما أحسست برغبة ولو ضئيلة في الانفراد؟

دربة: لا.

فكري: أما أحسست برغبة ولو ضئيلة في الانطلاق بخيالك في أجواء الفضاء؟!

دربة: ما هذا الهراء؟! أتظنها ستضع قصة؟! إنها ستضع طفلًا!

فكري (صائحًا): ماذا أقول يا ناس؟! وهل هذا موضوع أستشار أنا فيه؟!

دربة: صدقت، أنا المذنبة، ألتمس عندك الرأي في شيء ما، (للممرضة) هلمي بنا إلى حجرة الطفل المريض!

الممرضة (متغيرة الوجه فجأةً): أتسمحين؟ أين؟ أين؟ أين «التواليت» الحمام، الحمام ...

دربة (فزعة): ماذا بك؟

الممرضة: الحمام، الحمام ...

دربة (تسندها): ماذا بك؟ المخاض؟ أليس كذلك؟

الممرضة: أظن ذلك!

دربة: تظنين ذلك؟ الآن؟! ستضعين هنا، ستلدين هنا!

الممرضة: نعم، افرشوا لي هنا، في هذه الحجرة!

دربة (صائحة): نفرش لك هنا؟! ما شاء الله، جئنا بك لتعينيني، فإذا بي أنا التي سأعينك، لا، يا ستي، مستحيل، أعصابي لن تتحمل أبدًا سأجن ولا شك، لن أستطيع أن أسهر على تمريض ابني وتوليد الممرضة! (الممرضة تنهار على مقعد) أغثني يا زوجي! أتشاهد وتتفرج؟ تحرك، أسرع إليَّ، ساعدني!

فكري (ينهض ويبادر إليها): أوامرك، أنا موجود، طلباتك، ماذا أصنع؟

دربة: انقل هذه الممرضة إلى المستشفى، إلى الإسعاف، إلى قصر العيني، لا ينبغي بأي حال أن تلد هنا، لا يوجد هنا أحد يعنى بها العناية اللازمة أسرع بها، حالًا، انقلها.

فكري: أنقلها، وكيف أنقلها؟

دربة: احملها، وانزل بها في المصعد وأيقظ البواب يحضر لك «تاكسي» واذهب بها إلى أقرب مستشفًى.

فكري (ينظر إلى حجم المرضة): أحملها؟! أوتظنين أني كنت من هواة حمل الأثقال؟!
دربة: الموقف لا يحتمل التردد، أسرع بنقلها قبل أن يقع المحظور!
فكري: هلمي، حمليني!
دربة (تقيم المرضة): انهضي قليلًا على قدميك.
المرضة (تتمالك قليلًا): أين؟ إلى أين؟
دربة: إلى المستشفى، إنه قريب من هنا، لا بد أن تلدي في المستشفى، هنا مستحيل! تمالكي نفسك، واتكئي على ذراع زوجي، وهو يذهب بك حالًا إلى أقرب مستشفى!

(المرضة تنهض وتتكئ على ذراع المؤلف.)

دربة (وهي تشيع المؤلف والمرضة): الله ينتعك بالسلامة!
فكري (لزوجته): متشكر!
دربة: إني أدعو لها هي، لا لك!

(يخرج «فكري» والمرضة، بينما الزوجة تتبعهما بالنظر على العتبة، ويسمع فتح باب الشقة الخارجي، وإغلاقه، وعندئذٍ تعود الزوجة وتتجه إلى التليفون فوق المكتب وتدير القرص.)

دربة (في التليفون): آلو، الدكتور؟ إني آسفة لإزعاجك في هذه الساعة، لا، الموضوع خاص بالمرضة التي أرسلتها إلينا، لا بد من أنك لم ترها منذ زمن، لماذا؟ لأنها جاءتنا الليلة وهي حامل، وكادت تضع في منزلنا، لولا إسراعنا بنقلها إلى المستشفى، حادث غريب؟ أليس كذلك؟ خصوصًا أني محطمة القوى من السهر، وفي حاجة إلى ممرضة تعينني، نعم سوء حظ، ترسل إلينا ممرضة أخرى؟ متى؟ غدًا على الأكثر! متشكرة جدًّا، ليلتك ...

(جرس الباب يرن رنينًا متصلًا، فتلقي الزوجة السماعة وتسرع مهرولةً لتفتح، ولا يمضي قليل حتى يسمع ضجيج في الردهة، وبكاء مولود حديث عهد بالولادة.)

فكري (صائحًا من الخارج): المعونة، المعونة، ولدت، المرضة ... ولدت في المصعد.
دربة (صائحةً من الخارج): ولدت؟ احملها، أدخلها!
فكري (من الخارج): ساعديني خذي مني المولود، خلصيني من الوالدة!
دربة (من الخارج): ما هذا؟ كيف حدث ذلك هكذا؟

فكري (من الخارج): في المصعد، ارتمت المرضة فجأةً، وانحنيت أنهضها فإذا بها تطلق وما شعرت إلا والمولود في حجري، والخلاص في بطنها، (صائحًا) يا زوجتي تحركي، ساعديني، تتفرجين عليَّ، شدي الخلاص، خلصيني.

درية (من الخارج): أخلصك لأقع أنا؟ كل ما حسبته لقيته!

(جرس التليفون يدق على المكتب، فيدخل المؤلف يمسح يديه من الدم بمنديله، وقد تبعثرت ثيابه، ويسرع إلى التليفون.)

فكري (ممسكًا بالسماعة): آلو، من حضرتك؟ الوحي؟ أين أنت؟ أين ذهبت؟ في المسرح؟! آه، مدير الفرقة! جلال؟ ماذا تريد؟ تطمئن على وضع ختام الفصل؟ لا يا سيدي لم أضع شيئًا حتى الآن، شخص آخر هو الذي وضع!

(يلقي السماعة.)

(ستار)

هنـــداوي